



جمهورية مصر العربية  
وزارة الأوقاف

# الآداب العامة

تقديم ومشاركة

أ.د / محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ  
﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحُسْنَىٰ وَلَا السَّيِّئَةُ اِدْفَعْ  
بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ فَاِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ  
عَدَاوَةٌ كَاَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ ﴾

(سورة فصلت : ٣٤)



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه  
ورسوله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه  
إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن ديننا الحنيف هو دين الجمال والرقي والذوق السليم والحس  
الإنساني المرهف، فكل ما يتسق مع الآداب الإنسانية العامة هو من  
صميم الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، قال الله تعالى:  
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ .  
والأمم المتحضرة والدول الراقية هي التي تجعل من مراعاة  
الآداب العامة منهج حياة ، ولا تعد هذه الآداب من نافلة القول أو  
على هامش أولوياتها ، فالآداب العامة لا تنفك عن منظومة القيم  
والأخلاق الإنسانية الراقية ، والتحلي بها دليل على حب الله (عز  
وجل) للعبد، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " إن أَحَبَّ

عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا" .

ولا شك أن الإسلام قائم على كل ما ينمي الذوق ، ويرسخ القيم الإنسانية السوية ، ويسهم في تكوين الرقي الشخصي والمجتمعي ، وينشر القيم الحضارية ، ويؤدي إلى تأصيلها وتجديدها في نفوس الناس جميعاً .

وقد حرص الإسلام على تعليم أتباعه القيم الراقية ، وتنشئتهم عليها منذ نعومة أظفارهم ، سواء فيما بينهم وبين أنفسهم أم فيما بينهم وبين الناس ، فهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عندما رأى صبياً تطيش يده في وعاء الطعام ، علّمه وَوَجَّهَهُ بِمَا يَهْدُبُ ذَوْقَهُ وَطَبَعَهُ، فقال (صلى الله عليه وسلم) له: " يَا غُلَامُ ، سَمَّ اللَّهُ تَعَالَى، وَكُلُّ بِيَمِينِكَ ، وَكُلُّ بِمِائِيكَ "، يستوي في ذلك حال من أكل منفرداً ومن أكل مع غيره من الناس .

ورعّب الشرع الشريف في التّحليّ بحسن الخلق في كل مناحي الحياة ، حتى صار حسن الخلق علامة على خيرية صاحبه وحسن إسلامه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا "، ويقول

(صلى الله عليه وسلم) : " إن المؤمنَ لَيُدرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصائمِ القائمِ " ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّمَا بُعثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ " .

ونقدم في هذا الكتاب نخبة من المباحث المهمة في الآداب العامة أعددتها مجموعة متميزة من شباب علماء الأوقاف ، وقد شاركهم فيه يبحث هام عن الأدب مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، سائلًا الله (عز وجل) أن يكرمنا جميعًا بحسن الخلق في الدنيا، وأن يجعله سبيلًا للقرب من حبيبنا وسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة .

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان .

**أ.د/ محمد مختار جمعة**

**وزير الأوقاف**

**رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية**

**وعضو مجمع البحوث الإسلامية**

**بالأزهر الشريف**

## الأدب مع الله تعالى (\*)

الأدبُ في لغة العرب له معانٍ متعددة ، يقول ابن منظور:  
"سُمِّيَ الأدبُ أدبًا لأنه يَأْدِبُ النَّاسَ إِلَى الْمَحَامِدِ ، وَيُنْهَاهُمْ عَنِ  
الْمَقَابِحِ ، وَأَصْلُ الْأَدْبِ الدُّعَاءُ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلصَّنِيعِ يُدْعَى إِلَيْهِ  
النَّاسُ: مَدْعَاةٌ وَمَأْدُبَةٌ"، ومن معاني الأدب أيضًا : "الظَّرْفُ  
وَحُسْنُ التَّنَاوُلِ"<sup>(١)</sup>.

فالأدب يتضمن الحديث عن الأخلاق العملية، أي ممارسة  
السلوكيات المحمودة والابتعاد عن السلوكيات المذمومة، ومن  
المعاني الاصطلاحية للأدب أنه: "عبارة عن معرفة ما يحترز به عن  
جميع أنواع الخطأ"<sup>(٢)</sup>، و"الأدب ما هو إلا الخصال الحميدة"،  
أو "اجتماع خصال الخير ، فالأديب الذي اجتمع فيه خصال

---

(\*) أعد هذا البحث د/ محمد السيد نصار ، مدير عام الإرشاد الديني ونشر الدعوة .

(١) لسان العرب، ٧٠ / ١ .

(٢) كتاب التعريفات للجرجاني، ١ / ١٥ .

الخير"<sup>(١)</sup>، وقيل: هو "استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، أو هو الأخذ بمكارم الأخلاق"<sup>(٢)</sup>، فلزوم الأدب من الأمور العظيمة التي ندبت إليها الشريعة الإسلامية، وحثت على فعلها والعناية بها لتحسين الخلق وتهذيبه .

والأدب مع الله (عز وجل) أرفع مراتب الأدب وأعلاها، وأجلها وأزكاها، فما تأدب متأدب بأحسن من أدبه مع ربه وخالقه، وما أساء امرؤ الأدب بأشنع من سوء أدبه مع ربه (عز وجل) .  
وقد تكلم أهل العلم والمعرفة في حقيقته ، وعبارتهم في الأدب يقصدون بها انكسار العبد تحت الحياء وذله تحت المهابة، فلا ينطوي قلبه على قبيح ، ولا يصرُّ على ذنب ، وهذا المعنى مصرّفٌ في كلامهم ، وقد تنوعت عباراتهم في التعبير عنه ، قال ابن عطاء الله السكندري: الأدب الوقوف مع المستحسنات. فقليل له: وما معناه؟

---

(١) كشاف المصطلحات للتهانوي، ١/ ٧٩٠ . والرسالة القشيرية، ص ٥٨٨ .

(٢) فتح الباري، ١/ ٤١٤ .

فقال: أن تعامله سبحانه بالأدب سرًّا وعلنًا ، فإن كنت كذلك كنت أديبًا وإن كنت أعجميًا، وقال يحيى بن معاذ : "من تأدب بأدب الله صار من أهل محبة الله"، وقيل: "إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب"، وسئل الحسن البصري عن أنفع الأدب فقال : "التفقه في الدين والزهد في الدنيا ، والمعرفة بما لله عليك"<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا فالأدب مع الله من صفات المرسلين ، وسمات المؤمنين ، فالمؤمن يجب عليه أن يلتزم الأدب مع مولاه لينال رحمته، ويفوز بجنّته ، ويحقق السعادة في الدنيا والآخرة ، ذلك لأن الإنسان منذ خروجه من بطن أمه وهو يتنعم بنعم الله عليه ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، قال الإمام الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: "لا تضبطوا عددها ولا

---

(١) راجع أقوالهم في : الرسالة القشيرية ، ص ٥٨٧ - ٥٩٠ ، ١٠٨ ، واللمع للسراج الطوسي ، ص ١٩٦ - ١٩٨ .

(٢) النحل: ١٨ .

تبلغه طاقتكم فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر ، وإنما أتبع ذلك ما عدّد من نعمه تنبيهاً على أن ما وراءها لا ينحصر ولا يُعدُّ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم<sup>(١)</sup>، فالطريق إلى الله كله آداب، فمن لزم الأدب لزم التقوى، إذ هو منبثق منها وراجع إليها.

**- نماذج من أدب الأنبياء مع الله تعالى :**

- منها: عدم التفاتهم إلى شيء وهم بين يدي الله، ولقد جرت عادة القوم الذين كتبوا في الأخلاق والسلوك أن يذكروا في هذا المقام<sup>(٢)</sup> قول الله تعالى عن نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم): ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾<sup>(٣)</sup>، وكأنهم نظروا إلى قول من قال من أهل التفسير: إن هذا وصف لأدبه (صلى الله عليه وسلم) في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانباً ، ولا تجاوز ما رآه ، وهذا كمال الأدب ، والإخلال به أن

---

(١) الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل للزمخشري ، ٢ / ٥٠٠ بتصرف .

(٢) راجع: الرسالة للقسيري ، ص ٥٨٧ ، مدارج السالكين لابن القيم ، ٢ / ١٠٩ .

(٣) النجم : ١٧ .

يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله ، أو يتطلع أمام المنظور؛ فالالتفات زيغ ، والتطلع إلى ما أمام المنظور طغيان ومجازة<sup>(١)</sup>.  
- ومنها : نسبتهم العلم إلى الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك أدب سيدنا يوسف (عليه السلام) برده العلم الذي يحمله إلى الله سبحانه وتعالى حين قال: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾<sup>(٢)</sup>.

- ومنها: إسناد الكمال لله تعالى ، ورد النقص والعيب إلى أنفسهم، فمن المواقف الجليلة - التي يتجلى فيها الخلق الحسن والأدب الرفيع - موقف الخضر (عليه السلام) مع الله تعالى؛ حين أسند ما كان من الخير إلى الله (عز وجل)، فقال في شأن الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾<sup>(٣)</sup>، وما كان في ظاهره النقص أو العيب أسنده إلى نفسه تأدباً مع ربه سبحانه وتعالى،

---

(١) مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، ٣٤٩/١٩.

(٢) يوسف: ٣٧.

(٣) الكهف: ٨٢.

بقوله في السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾<sup>(١)</sup>.

- ومنها: نسبة الخير إليه ونفي الشر عنه ، وقد ضرب الخليل إبراهيم (عليه السلام) أروع الأمثلة في الأدب الرفيع مع ربه ، حينما تحدث عن نعم الله وآياته وقدرته فنسبها لله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾<sup>(٢)</sup>، فنسب عملية الخلق إلى الخالق<sup>(٣)</sup>، ثم جاء في سياق حديثه ذكر المرض فنسبه لنفسه حفظاً للأدب مع الله فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>(٤)</sup>، وما حكى الله (عز وجل) عن سيدنا أيوب (عليه السلام) في دعائه، فتارة ينسب الشر إلى الشيطان، وتارة لا يذكر الفاعل ، وكل هذا من باب الأدب مع الله كما حكى الله عنه في قوله: ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله

(١) الكهف: ٧٩ .

(٢) الشعراء: ٧٨ - ٧٩ .

(٣) الكمال والجمال في القرآن الكريم ، أ. د/ محمد مختار جمعة ، ص ٧٨ .

(٤) الشعراء: ٨٠ .

(٥) سورة ص: ٤١ .

أَيْضًا عَنْهُ : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ  
الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

- ومنها: طاعة الله سبحانه وعدم التقديم بين يديه ، قال الله تعالى:  
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي  
وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ، فالأدب مع الله سبحانه  
وتعالى يستلزم طاعته وعبادته ، وهي حق له سبحانه على عباده ،  
ولكل عبادة وطاعة جملة من الآداب ، منها الظاهرة ، ومنها الباطنة  
التي أطلق عليها أبو حامد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين"  
مصطلح "دقائق الآداب" ، ستجدها في باب الصلاة، وباب  
الصيام، وباب الزكاة، وباب الحج... وهكذا .

كما جاء النهي عن التقديم بين يدي الله تأدبًا ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

---

(١) الأنبياء: ٨٣ .

(٢) النساء: ٥٩ .

(٣) الأنعام: ١٦٢ .

عَلِيمٌ ﴿١﴾، فهو أدب يمثل حدود إدراك العبد أمام ربه (جل وعلا)، فلا يتقدم بين يديه بقولٍ أو فعلٍ، أو بأمرٍ أو نهْيٍ، ولا يعترض عليه في قضاء ولا حكم ولا ابتلاء. ويدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه) حيث قال له النبي (صلى الله عليه وسلم) حين بعثه إلى اليمن: "كَيْفَ تَقْضِي؟"، فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟"، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟"، قَالَ: أَجْتَهُدُ رَأْيِي، قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ" (٢).

- ومنها: الرضا بقضاء الله وقدره، فالرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرّة عيون المشتاقين، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ

(١) الحجرات: ١ .

(٢) سنن الترمذي، أبواب الأحكام، بابُ ما جاء في القاضي كَيْفَ يَقْضِي، حديث

رقم ١٣٢٧ .

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِي قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾، وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ  
الْمُطَّلِبِ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "ذَاقَ  
طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ  
رَسُولًا" (٢).

- ومنها: شكر نعم الله تعالى ، فنعم الله تعالى على عباده كثيرة ، قال  
تعالى: " وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ " (٣)، وقال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ  
كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (٤)، وَقَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،  
وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا

(١) التغابن: ١١ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، حديث  
رقم ٣٤ .

(٣) النحل: ٥٣ .

(٤) إبراهيم: ٣٤ .

لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"<sup>(١)</sup> . فيجب على المؤمن شكر الله على ما تفضل به من النعم العظيمة ، ويكون ذلك باعتراف القلب بالنعمة، والتحدث بها، والثناء على المنعم ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(٢)</sup> ، وتسخير النعمة في طاعة المنعم سبحانه، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ، فبالشكر يتحقق رضا الله على العبد ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، وبه تتحقق الزيادة ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> ، وبه يأمن المؤمن من العذاب ، قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ

(١) صحيح مسلم ، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ، بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، حديث

رقم ٢٩٩٩ .

(٢) الضحى : ٧ .

(٣) سبأ : ١٣ .

(٤) الزمر : ٧ .

(٥) إبراهيم : ٧ .

وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١﴾.

ومن الأدب مع الله تعالى كذلك أن تَسْتَجِيَّ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى  
إِلَيْكَ .. فَتَحْفَظَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَالْبَطْنَ وَالرَّأْسَ ، وَالْفَرْجَ ،  
وَالجَوَارِحَ كُلِّهَا . نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا حَسْنَ الْأَدَبِ مَعَهُ .

\* \* \*

---

(١) النساء: ١٤٧ .

## الأدب مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (\*)

لقد تحدث القرآن الكريم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حديثاً كاشفاً عن مكانته وأخلاقه وعلو منزلته ، فهو نبي الرحمة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول (عز وجل): ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد شرع الله (عز وجل) آداباً مع سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، واجب على كل من تعامل معه في حياته أو مع سنته

---

(\*) أعد هذا المبحث أ. د/ محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، مصر.

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) التوبة : ١٢٨ .

بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) أن يتأدب بها إلى قيام الساعة ،  
ومن هذه الآداب:

- عدم ذكر اسمه (صلى الله عليه وسلم) مجرداً عما يليق به من  
الوصف بالنبوة أو الرسالة أو الصلاة والسلام عليه، سواء عند  
ذكره (صلى الله عليه وسلم) أو عند سماع اسمه (عليه الصلاة  
والسلام) أو كتابة اسمه المبارك (صلى الله عليه وسلم)، بالغاً ما بلغ  
عدد مرات الكتابة أو الذكر، فذلك من أخص علامات حب سيدنا  
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهذا ما يعلمنا إياه القرآن  
الكريم؛ حيث نادى رب العزة (سبحانه وتعالى) سائر الأنبياء  
بأسمائهم: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ  
بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ  
صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا

---

(١) البقرة: ٣٥، والأعراف: ١٩ .

(٢) هود: ٤٨ .

(٣) الصافات: ١٠٤، ١٠٥ .

جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴿١﴾، ﴿يَا  
 زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴿٢﴾، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ  
 بِقُوَّةٍ ﴿٣﴾، ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ  
 طُوًى ﴿٤﴾، ﴿يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى  
 وَالِدَتِكَ ﴿٥﴾، وعندما خاطب نبينا (صلى الله عليه وسلم) خاطبه  
 خطاباً مقروناً بشرف الرسالة أو النبوة، أو صفة إكرام وتفضل  
 وملاطفة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ  
 رَبِّكَ ﴿٦﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٧﴾،  
 وعندما شرفه الحق (سبحانه وتعالى) بذكر اسمه في القرآن الكريم

(١) ص: ٢٦ .

(٢) مريم: ٧ .

(٣) مريم: ١٢ .

(٤) طه: ١٢ .

(٥) المائدة: ١١٠ .

(٦) المائدة: ٦٧ .

(٧) الأحزاب: ٤٥ .

ذكره مقروناً بعز الرسالة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

- ومن هذه الآداب: الإكثار من الصلاة والسلام عليه (صلى الله  
عليه وسلم) حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ  
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا  
تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن كثير (رحمه الله): "وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ : أَنَّ اللَّهَ  
سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِأَنَّهُ يُثَنِّي  
عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى  
أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِيَجْتَمَعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ  
أَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا"<sup>(٣)</sup>.

وقد أتى رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: سمعت الله

---

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) تفسير ابن كثير، الأحزاب ٣ / ٥٥٥ .

(عز وجل) يقول: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... " الآية، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: " قل: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " (١).

- وللصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فضائل عظيمة ومِنَحَ جلييلة، منها: نَيْلُ رَحْمَةِ اللَّهِ (عز وجل) وعميم فضله بكثرة الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّنَا (صلى الله عليه وسلم): فإذا كانت الصلاة من الله تعني الرحمة، فإنه (صلى الله عليه وسلم) قال: "... من صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا.. " (٢)، وقال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، باب قوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، حديث رقم ٤٥١٩.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الْمُتَأَدِّي، حديث رقم ٦١١. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ الْوَسِيلَةَ، حديث رقم ٨٧٥.

أَيْضًا : " من ذُكِرْتُ عنده فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ ، ومن صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا " (١) .

ومنها : استغفارُ الملائكة : حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) :  
" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكُنْزَ " (٢) .

ومنها: نيل شفاعته (صلى الله عليه وسلم) ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، ثَوَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حديث رقم ٩٨٠٦ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا ، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حديث رقم ٩١٠ .

لَهُ الشَّفَاعَةُ"<sup>(١)</sup>، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة"<sup>(٢)</sup>.

ومنها: رفع الدرجات وخطّ الخطايا والسيئات: يقول (صلى الله عليه وسلم) : "من صلى عليّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشر صلواتٍ ، وحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ"<sup>(٣)</sup>، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبُشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبُشْرُ، قَالَ: " أَجَلٌ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي (عَزَّ وَجَلَّ) فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَحُحِّتْ عَنْهُ عَشْرُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ يُسْأَلُ لَهُ الْوَسِيلَةَ، حديث رقم ٣٨٤ .

(٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْوِثْرِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم ٤٨٤

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب السهو، بَابُ الْفُضْلِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حديث رقم ١٢٩٧ .

سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا"<sup>(١)</sup>.

ومنها: كفاية المهوم ومغفرة الذنوب : فعن أبي بن كعب (رضي الله عنه) أنه قال: يا رسول الله، إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فكم أجعلُ لك من صَلَاتِي؟ فقال: "ما شئت"، قال: قلتُ الربيع؟ قال: "ما شئت"، فإن زدت فهو خيرٌ لك"، قلتُ: النصف؟ قال: "ما شئت"، فإن زدت فهو خيرٌ لك"، قال: قلتُ: فالثلثين؟ قال: "ما شئت"، فإن زدت فهو خيرٌ لك"، قلتُ: أجعلُ لك صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قال: "إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ وَيَغْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ"<sup>(٢)</sup>.

- ومن الآداب التي يجب أن يتعامل بها المرء مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم): توقير أمره (صلى الله عليه وسلم) وسنته، والمبادرة إلى التزام هديه، وعدم التعامل معه (صلى الله عليه وسلم) كما يتعامل بعضنا مع بعض؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا

---

(١) سنن الدارمي، كتاب الرقاق، باب فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، حديث رقم ٢٧٧٣، ومسند أحمد ٢٦ / ٢٧٢، حديث رقم ١٦٣٥٢.  
(٢) سنن الترمذي، جامع أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، حديث رقم ٢٤٥٧.

دُعَاءِ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴿١﴾، فقد أجمع علماء الأمة على حجية السنة النبوية، وأن طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من طاعة الله (عز وجل)، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ويقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن

---

(١) النور: ٦٣ .

(٢) النساء: ٥٩ .

(٣) آل عمران: ١٣٢ .

(٤) آل عمران: ٣٢ .

(٥) الأنفال: ٤٦ .

تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما عَلَي رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١﴾، ويقول سبحانه:  
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ  
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ  
الْمُبِينُ﴾ (٢).

وهو ما يقتضي أيضًا ألا نتعامل مع سنته كما نتعامل مع كلام  
بعضنا البعض ، وهو ما أكد عليه كبار الفقهاء والعلماء ؛ حيث  
يقول الإمام أبو حنيفة (رحمه الله): "إذا قلتُ قولًا يخالف كتابَ  
الله تعالى، وخبرَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) فاتركوا قولي" (٣).  
ويقول الإمام مالك (رحمه الله): "ليس أحد بعد النبي (صلى الله  
عليه وسلم) إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي (صلى الله عليه  
وسلم)" (٤)، ويقول أيضًا: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا

---

(١) المائة: ٩٢.

(٢) النور: ٥٤.

(٣) إيقاظ همم أولي الأبصار للعلامة صالح بن محمد الفُلاني ، ص ٩٣ .

(٤) المجموع للنووي، ١ / ١٧٥ .

في رأبي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام الشافعي (رحمه الله): "ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتعزب عنه ، فمهما قلتُ من قول أو أصلت من أصل ، فيه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو قولي"<sup>(٢)</sup>، ويقول أيضًا : " إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقولوا بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ودعوا ما قلت"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) : " لا تقلدني ولا تقلد مالكا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا"<sup>(٤)</sup>، فالإيمان به (صلى الله عليه وسلم) لا يكتمل إلا بالنزول

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، ١ / ٧٢ .

(٢) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، ٢ / ٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق، ٢ / ٢٠٣ .

(٤) المصدر السابق، ٢ / ١٣٩ .

على حكمه عن رضى وطيب نفس، فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

- ومن هذه الآداب: التزام الأدب والوقار في مسجده (صلى الله عليه وسلم)، فلا شك أن حرمة جوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته كحرمة جواره حيًّا، وقد نهى الله تعالى عن رفع الصوت عنده فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد سمع الإمام مالك (رحمه الله) رجلا يرفع صوته في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا هذا، إن الله (عز وجل) قد ذم أقوامًا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) النساء: ٦٥ .

(٢) الحجرات: ٢،٣ .

أَمَّنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ  
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١﴾،  
وامتدح أقوامًا فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ  
عَظِيمٌ ﴾ (٢)، وإن حرمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ميتاً  
كحرمة حيّاً، فتأدب في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

\* \* \*

---

(١) الحجرات: ٢ .

(٢) الحجرات: ٣ .

## الأدب مع الصحابة (رضوان الله عليهم) (\*)

يمثل عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (رضوان الله عليهم) عصرًا فريدًا من الناحية الإيمانية والأخلاقية والسلوكية، يتطلع إليه المسلمون فيرون فيه عزة الإيمان وطهارة المبادئ والقيم، ويتلمسون ممن عاشوا فيه القدوة والأسوة، غير أن العهد كلما بُعد بالناس عن هذا العصر ضعفت ذاكرتهم، فنسوا ما لأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) عليهم من واجب التقدير والإجلال؛ لذا كان مما يجدر بنا بين الحين والآخر أن نتحدث عن الأدب معهم؛ لنذكر ناسيًا، وننبه غافلاً.

-تعريف الصحابي:

الصحابي في اللغة: من الفعل "صَحِبْتُهُ أَصْحَبْتُهُ صُحْبَةً.. وَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْإِطْلَاقِ لِمَنْ حَصَلَ لَهُ رُؤْيَةٌ وَمُجَالَسَةٌ" (1)، وفي الاصطلاح:

---

(\*) أعد هذا المبحث د/ أحمد عبد الهادي علي، مدير إدارة المراكز الثقافية.

(1) المصباح المنير: لأبي العباس الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، ١/ ٣٣٣.

"مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُؤْمِنًا بِهِ ، وَمَاتَ عَلَى  
الإِسْلَامِ"<sup>(١)</sup>، وقد بلغ عدد الصحابة حين " قبض رسول الله (صلى  
الله عليه وسلم) نحو مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة الذين  
رأوا رسول الله أو سمعوا منه"<sup>(٢)</sup> (صلى الله عليه وسلم).

والنصوص كثيرة متواترة في فضلهم وعلو مكانتهم ، وهي  
"تقتضي طهارتهم والقطع على تعديلهم ونزاهتهم؛ فلا يحتاج  
أحد منهم - مع تعديل الله تعالى لهم ، المطلع على بواطنهم - إلى  
تعديل أحد من الخلق له"<sup>(٣)</sup> . وأحاول في هذه السطور بيان بعض  
ما يجب علينا تجاه الصحابة من آداب ، فمن ذلك:

- معرفة فضلهم ومنزلتهم في الإسلام ، وقد جاءت بفضلهم  
الآيات والأحاديث الكثيرة ، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ

---

(١) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ضمن كتاب سبل السلام) ، لابن حجر

العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ)، ص ٢٣٠.

(٢) شرح التبصرة والتذكرة لزین الدین العراقي (ت ٨٠٦هـ)، ٢ / ١٣٥ بتصرف .

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، ص ٤٩ .

الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ  
الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>(١)</sup>، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):  
"إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ بِي أَصْحَابًا.." <sup>(٢)</sup>، وفي  
لفظ: "إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا.." <sup>(٣)</sup>، فالله (عز وجل)  
المطلع على قلوب العباد هو من اختار للنبي (صلى الله عليه وسلم)  
أصحابه من بين الناس، فهم اصطفاء بارئ الخلق لسيد الخلق،  
يقول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ  
مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ،  
فَابْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ  
قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ.." <sup>(٤)</sup>.

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) المستدرک للحاکم، کتاب معرفة الصحابة، ذکر عویم بن ساعدة (رضي الله  
عنه)، حديث رقم ٦٦٥٦.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ١٧/١٤٠، حديث رقم: ٣٤٩.

(٤) مسند أحمد، ٦/٨٤، حديث رقم ٣٦٠٠.

- ومنها: الترضي عليهم عند ذكركم، فيجب أن نتحدث عنهم بما هم أهله من الإجلال والتقدير ؛ فقد ترضى الله في عليائه عنهم؛ فقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>، واتباعهم بإحسان يعني أن نذكرهم بالدعاء ، وتعداد المحاسن<sup>(٣)</sup>، وإذا ورد ذكر لأحدهم أعقبناه بقولنا: (رضي الله عنه)<sup>(٤)</sup>، ولا نذكرهم كأحاد الناس، وليكن لنا في سيدنا عمر (رضي الله عنه) الأسوة الحسنة ، فهو على عظيم قدره يذكر سيدنا أبا بكر وسيدنا بلال (رضي الله عنهما) فيقول: " أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا " <sup>(٥)</sup>.

(١) الفتح: ١٨ .

(٢) التوبة: ١٠٠ .

(٣) راجع: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٣ / ٥٢١ .

(٤) راجع: التقريب والتيسير لمحيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، ص ٦٨ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب بلال بن رباح ، حديث

رقم ٣٥٤٤ .

- ومن الآداب في التعامل مع الصحابة كذلك: الاقتداء بهم، فالصحابه هم من رباهم النبي (صلى الله عليه وسلم) على عينه، وكان الوحي ينزل عليه، وهو بين أظهرهم ، يؤدبهم ويظهرهم؛ فينبغي على المسلم أن يتخذهم قدوة ، فقد ذكر الله تعالى في كتابه أن من اتبع هداهم حاز رضوانه وأورثه جنانه ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول سيدنا ابن مسعود: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًّا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكْلَفًا ، وَأَقْوَمُهَا هَدْيًا ، وَأَحْسَنُهَا حَالًا ، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَإِقَامَةِ دِينِهِ ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ"<sup>(٢)</sup>.

- ومنها : العلم بأن اختلافهم في الاجتهاد في الرأي سعة في التشريع

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمرء، ٢ / ١٩٧ ، حديث رقم ٩٢٦ .

ورحمة، فاختلف الناس في منازعهم فطرة أرادها الله لهم ؛ ليثروا الحياة بأفكارهم ، وقد أقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا التنوع في أصحابه ، فحين اختلف أبو بكر وعمر (رضوان الله عليهما) في الموقف من أسرى بدر ، فرأى الفاروق قتلهم ؛ ليعلم الله من قلوبهم أنها خلت من الولاء إلا له ولدينه ، ورأى الصديق قبول الفدية منهم ، يستعان بها عليهم ، ولعل الله أن يفتح قلوبهم للإسلام ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " .. إِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وَمِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ عِيسَى قَالَ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَي الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾<sup>(٣)</sup>، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ مُوسَى،

---

(١) إبراهيم : ٣٦ .

(٢) المائدة : ١١٨ .

(٣) نوح : ٢٦ .

قَالَ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(١) (٢)</sup>، فأبان الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن الاختلاف في المنازع قديم، وأن الاختلاف لا ينافي أن يكون كلا المختلفين على صلاح وتقوى.

إن "اختلافهم - الصحابة - (رضي الله عنهم) إنما نشأ عن اجتهاد، وهم محامل ولذلك كان اختلافهم رحمة"<sup>(٣)</sup>، يقول عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "مَا يَسُرُّنِي بِاِخْتِلَافِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُحَرُّ النَّعَمِ؛ لِأَنَّا إِنِ اخْتَلَفْنَا بِقَوْلِ هَؤُلَاءِ أَصَبْنَا، وَإِنِ اخْتَلَفْنَا بِقَوْلِ هَؤُلَاءِ أَصَبْنَا"<sup>(٤)</sup>.

(١) يونس: ٨٨.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب قسم الفيء، باب ما جاء في مفاداة الرجال منهم بالمال، حديث رقم ١٢٦٢٣.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين المناوي (ت ١٠٣١هـ)، ٤٨/٢.

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت:

٤٦٣هـ)، ١١٧/٢.

- ومنها: حمل أفعالهم على أحسن وجوهها ، فالصحابة قد قدموا في سبيل هذا الدين أغلى ما يمتلكون ، فلا يقبل عقلاً أن يتعمدوا الخطأ لعرضٍ من الدنيا قليل، ويجب علينا أن نحمل أفعالهم على أحسن محاملها الممكنة، وأن نعلم أنه اجتهد يطلب الصواب، ولنا فيما فعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأسوة الحسنة، فحين كتب سيدنا حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) إلى أهل مكة يخبرهم بمسير الرسول إليهم في فتح مكة ، وكان (صلى الله عليه وسلم) قد تكتم الأمر تجنباً لإراقة الدماء، وكان سيدنا حاطب (رضي الله عنه) يريد أن تكون له يد عند أهل مكة؛ لئلا ينالوا أهله بأذى، فلما أُعْلِمَ (صلى الله عليه وسلم) بالأمر رد الرسالة قبل وصولها إلى أهل مكة، وأشار عليه سيدنا عمر (رضي الله عنه) بأن يقتل حاطباً؛ لظنه أنه قد نافق، فأبان الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن النفاق لا يجد طريقه إلى أهل بدر، فقال: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اِطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ

اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ<sup>(١)</sup>.

- ومنها: حبهم والحذر من تنقيصهم أو سبهم، فقد أبان النبي (صلى الله عليه وسلم) أن من أحبهم فقد أحبه، ومن أبغضهم فقد أبغضه، فقال: "الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني..."<sup>(٢)</sup>، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"<sup>(٣)</sup>، أي أن أحدنا لو أنفق مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه ثواب نفقة أحدهم مداً ولا نصف مد<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، حديث رقم ٢٨٤٥، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل أهل بدر (رضي الله عنهم) وقصة حاطب بن أبي بلتعة، حديث رقم ٢٤٩٤.  
(٢) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب فيمن سب أصحاب النبي، حديث رقم ٣٨٦٢.

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "لو كنت متخذاً خليلاً"، حديث رقم ٣٤٧٠، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، ٢٥٤١.  
(٤) راجع: شرح النووي لصحيح مسلم، ١٦/٩٣، ٩٤.

## آداب معاملة الوالدين<sup>(\*)</sup>

لقد استوعبت شريعة الإسلام كل مناحي الحياة وشؤونها، فلم تدعُ خيرًا إلا ودعتُ إليه، ولم تدعُ شرًا إلا وحذرت منه، فدعت إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب التي تنظم حياة الناس، والتي لو التزموا بها لعاشوا حياة طيبة كريمة، وسعدوا في دنياهم وأخراهم، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ عَلَىٰ الصَّبَاتِ كَالصَّبَاتِ لَأَسْقَيْنَهُنَّ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(١)</sup>، ومن هذه الآداب التي حثت عليها ورغبت فيها: آداب التعامل مع الوالدين ، وذلك إكرامًا لهما ، واعترافًا بجميلها ، فالوالدان هما سببُ وجودِ الأبناء في هذه الدنيا بعد مشيئة الله تعالى، ويكفي بيانًا لعِظَمِ حق الوالدين ، أن الله تعالى قرَنَ حقهما في البرِّ والإحسان بحقه في العبادة والتوحيد ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال (عز

(\*) أعد هذا المبحث د/ عمرو محمد الكَّار ، مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة .

(١) الجن: ١٦ .

(٢) الإسراء: ٢٣ .

وجل): ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup>،  
كما قرن شكره تعالى بشكر الوالدين ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ  
اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>، وشكرُ الوالدين يكون بأداء  
حقوقها التي أوجبها الله تعالى وحث عليها رسوله (صلى الله عليه  
وسلم).

فالأم تُرضع ولدها حولين كاملين أو تكاد ، وتسهر ليلها عند  
رأس ولدها إن مرض أو نزل به ألم ؛ لذا خصَّها الله تعالى بالذكر في  
وصيته بالإحسان إلى الوالدين ، فقال (عز وجل) : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ  
كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال  
سبحانه وتعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾<sup>(٤)</sup>.  
وقد قدمها النبي (صلى الله عليه وسلم) على الأب في البرِّ والصلة

---

(١) النساء: ٣٦ .

(٢) لقمان: ١٤ .

(٣) الأحقاف: ١٥ .

(٤) لقمان: ١٤ .

والإحسان؛ لعظم حقها، فقد اختصت الأم بثلاثة أمور: الحمل،  
والوضع، والرضاع، فأكد على حقها قبل حق الأب ثلاث مرات،  
فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى  
الله عليه وسلم) فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال:  
"أُمَّكَ" قال: ثم من؟ قال: "ثم أُمَّكَ"، قال: ثم من؟ قال: "ثم  
أُمَّكَ"، قال: ثم من؟ قال: "ثم أبوك"<sup>(١)</sup>، ثم جاءت الوصية  
بحسن صحبة الأب الذي يعمل ليل نهار في كد وتعب من أجل أن  
يوفر لأسرته ما يحتاجونه ويطلبونه من المطعم والمشرب والملبس  
والمسكن .

فمهما قدّم الأبناء من برّ لوالديهم فلن يوفوهما حقهما ؛  
لأنهما من بدأ بالإحسان ، وبرّ الأبناء إنما هو مكافأة ، وليس  
الواصل كالمكافئ ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ  
الصُّحْبَةِ ، حديث رقم ٥٩٧١ ، وصحيح مسلم ، كتاب البرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ ،  
باب برِّ الْوَالِدَيْنِ وَأُمَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ ، حديث رقم ٢٥٤٨ .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا يُجزي ولدٌ والِدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه"<sup>(١)</sup>، وقد أتى رجل إلى سيدنا عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي أُمًّا بلغها من الكبر أنها لا تقضي حاجةً إلا وظهري مطيئة لها، فهل أدت حقها؟ قال: "لا؛ لأنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنع ذلك بها وأنت تتمنى فراقها"<sup>(٢)</sup>.

- من أجل ذلك شرع الإسلام لبر الوالدين آدابًا يتأدب بهما الولد في تعامله معهما، منها:

- وجوب طاعتها في المعروف، مع البر بهما، والإحسان إليهما، وكمال توقيرهما، مع الاعتراف الدائم بفضلهم ومكانتهم، والتواضع لهم، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾<sup>(٣)</sup>، وأن يأخذوا بمشورتهم، فهم أهل التجربة في الحياة

(١) صحيح مسلم، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، حديث رقم ١٥١٠.

(٢) الجامع في الحديث لأبي محمد ابن وهب المصري (المتوفى: ١٩٧هـ) باب الأسماء، حديث رقم ٩٠.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان، حديث رقم ٢٧٨٢.

والصدق في النصيحة، وهما أحق الناس بعطفك ورفقك ورحمتك وتواضعك ومعروفك، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، إنني جئت أريد الجهاد معك، أبتغي وجه الله والدار الآخرة، ولقد أتيت وإن والدي ليبيكان، قال: "فارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكتهما" (١).

إن بر الوالدين من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وقدّمه (صلى الله عليه وسلم) على الجهاد في سبيل الله حال كونه فرض كفاية، فأوقف الجهاد على إذن الوالدين، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: "الصلاة على وقتها" قلت: ثم أي؟ قال: "ثم بر الوالدين" قلت: ثم أي؟ قال: "ثم الجهاد في سبيل الله"، قال: حدّثني بهنّ ولو استزدنّه لزدني" (٢).

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان، حديث رقم ٢٥٢٨.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا=

كذلك من البر عدم السفر إلا بإذنها ، فعن عبد الله بن عمرو  
(رضي الله عنهما) قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ (صلى الله عليه وسلم)  
فاستأذنه في الجهادِ ، فقال: "أحيي والدك؟" ، قال : نعم ، قال:  
"ففيهما فجاهد"<sup>(١)</sup> ، وعدَّ ابن عباس (رضي الله عنهما) بر الوالدة  
من أهم أسباب قبول التوبة ومغفرة الذنوب ، فعنه (رضي الله  
عنهما) ، أنه أتاه رجلٌ فقال: إني خطبتُ امرأةً، فأبت أن تنكحني،  
وخطبتها غيري ، فأحببت أن تنكحهُ ، فغررتُ عليها فقتلتها ، فهل لي  
من توبة؟ قال: "أمك حية؟" قال: لا ، قال: "تُب إلى الله (عزَّ  
وجلَّ) ، وتقرَّب إليه ما استطعتَ" . فذهبتُ فسألتُ ابنَ عباسٍ: لم  
سألتُهُ عن حياة أمِّه؟ فقال: "إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله (عزَّ

---

= الإنسان بوالديه حسناً {العنكبوت: ٨ ، حديث رقم ٥٩٧٠ ، وصحيح مسلم ،  
كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، حديث رقم ٨٥ .  
(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الجهاد بإذن الأبوين ،  
حديث رقم ٣٠٠٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب برِّ  
الوالدين وأتمها أحقُّ به ، حديث رقم ٢٥٤٩ .

وَجَلَّ) مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ"<sup>(١)</sup>، فَإِنْ كَانَ طَلَبُ الْوَالِدِينَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ،  
أَوْ مِمَّا لَا طَاقَةَ لِلْأَبْنَاءِ بِهِ، فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَلَا  
يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُرَدَّ ذَلِكَ بِرَفَقٍ وَلِينٍ  
وَحُسْنِ اعْتِدَارٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ  
جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا  
فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٢)</sup>.

- كذلك من الأدب مع الوالدين: كمال رعايتهما عند الكبر،  
فأشدَّ فترة في حياتهما تلك التي يعترهم فيها الهرم والوهن، فيحتاج  
عندها الآباء إلى الأبناء، لذا خصَّ الله تعالى هذه المرحلة بالذكر عند  
حديثه عن الإحسان للوالدين، فقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا  
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ  
كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَاخْفِضْ

(١) الأدب المفرد للبخاري، بابُ بَرِّ الْأُمِّ، حديث رقم ٤ .

(٢) لقمان: ١٥ .

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١﴾،  
 أي إذا بلغ الوالدان الكِبَرَ أَحَدُهُمَا، وهما في كنفك وكفالتك، فيجبُ  
 عليك أن تحنو عليهما، فلا تتأفف ولا تتضجر، وقل لهما قولاً ليناً  
 جميلاً مهذباً ، مع التواضع وخفض الجناح، فالإحسان للوالدين  
 فرصة لمضاعفة الأجر والثواب ، وويل لمن ضيَّعها بالعقوق وترك  
 البر، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ" قِيلَ: مَنْ يَا  
 رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا،  
 ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ" (٢).

- كذلك من الأدب مع الوالدين: الإنفاق عليهما بالمعروف إن  
 كانا فقراء محتاجين ، فُتسَدَّ حاجاتهم من مأكَل ومشرَب وملبس  
 ومسكن ودواء، فعن عائشة، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) الإسراء: ٢٣، ٢٤ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب البرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ رَغِمَ أَنْفٌ مِنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ  
 أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، حديث رقم ٢٥٥١ .

وَسَلَّمَ): "إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ"<sup>(١)</sup>، وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : أَنَّى أَعْرَابِي رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي؟ قَالَ: "أَنْتَ وَمَالِكَ لِوَالِدِكَ، إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَمْوَالَ أَوْلَادِكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا"<sup>(٢)</sup>.

- ومن الأدب مع الوالدين برّهما بعد مماتهما: فبرّ الوالدين مستمر حتى بعد الموت، فلهما حقوق وبرّ بعد رحيلهما ، فعن أبي أسيد (رضي الله عنه)، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهَا أَبْرُهُمَا بِهِ؟ قَالَ: " نَعَمْ خِصَالُ أَرْبَعَةٍ : الصَّلَاةُ عَلَيْهَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهَا ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ

(١) سنن ابن ماجه ، كِتَابُ التَّجَارَاتِ ، بَابُ مَا لِلرَّجُلِ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ ، حَدِيثُ رَقْمِ

(٢) مسند أحمد ١١ / ٢٦١ ، حَدِيثُ رَقْمِ ٦٦٧٨ .

الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قَبْلِهِمَا، فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بَرِّهِمَا بَعْدَ  
مَوْتِهِمَا"<sup>(١)</sup>، فتلك فرصة ثانية لمن قَصَرَ في برِّ والديه في حياتهما، أو  
كان صغيراً عند وفاتهما فلم يحظ بشرف برهما أن يستدرك ما فاتته  
من البرِّ بهذه الأمور الأربعة ، ومن بر الوالدين بعد وفاتهما: الدعاء  
لها، فدعاء الأبناء الصالحين للوالدين يعد من عمل الوالد الذي لا  
ينقطع أجره بوفاته ؛ بل يستمر أجره وثوابه للوالدين بعد رحيلهما،  
فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول (صلى الله عليه وسلم)،  
قال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ  
صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"<sup>(٢)</sup>، وعدَّ  
النبي (صلى الله عليه وسلم) دعاء الولد من عمل الوالد ؛ لأن الولد  
من سعي أبيه .

وبالدعاء للوالدين ترفع درجاتهما في الجنة، فعن أبي هريرة (رضي

---

(١) مسند أحمد ٢٥ / ٤٥٧ ، حديث رقم ١٦٠٥٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، بابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ النَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ،

حديث رقم ١٦١٣ .

الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ، أَنِّي لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ" (١).

ومن برّ الوالدين بعد وفاتهما: صلة أقاربها وأهل وُدِّهما: ففي صلة رحمهما وأهل وُدِّ الوالدين من الأحاب والأصدقاء برّ بالوالدين بعد موتها ، فعن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) ، أن رجلا من الأعراب لقيهُ بطريق مكة ، فسلم عليه عبد الله ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عِمَامَةً كانت على رأسه ، فقال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله ، إنهم الأعرابُ ، وإنهم يرَضُونَ باليسير ، فقال عبد الله : إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لِعُمَرَ بن الخطاب ، وإنِّي سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ" (٢).

(١) مسند أحمد، ١٦/٣٥٦، رقم ١٠٦١٠.

(٢) سنن الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في إكْرَامِ صَدِيقِ الْوَالِدِ ، حديث رقم ١٩٠٣ .

- ومن الأدب مع الوالدين بعد وفاتهما: إنفاذ عهدهما وقضاء دينهما؛ فمن مات والداه وتركنا ديناً عليهما، أو وصية من بعدهما، وجب على الأبناء أن يقضوا عنها الدين، وأن يؤدّوا وصيتهما، فعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا (أُمِّي) كَانَ عَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٍ، أَفَأَصُومُ عَنْهَا؟ قَالَ: "صُومِي عَنْهَا"، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا لَمْ تَحْجَّ قَطُّ، أَفَأَحْجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا"<sup>(١)</sup>.

ومن برّ الوالدين بعد وفاتهما أيضاً: قضاء ما عليهما من نذر؛ فمن مات من الوالدين وعليه نذر طاعة معينة، كالصوم أو الحج أو الصدقة أو غير ذلك من الطاعات، ولم يتمكن من الوفاء بنذره قبل موته، فمن برّ أبنائه به أن يقضوا عنه نذره إن كان في استطاعتهم، فعن ابن عباسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ (رَضِيَ اللَّهُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، بابُ قَضَاءِ الصَّيَامِ عَنِ الْمَيِّتِ، حديث رقم

عَنْهُ) اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ : إِنَّ أُمَّي  
مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ ، فَقَالَ : "اقْضِهِ عَنْهَا"<sup>(١)</sup>.



---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب ما يُستحب لمن تُوفِّي فُجاءةً أن يتصدقوا  
عنه، وقضاء النذور عن الميت، حديث رقم ٢٧٦١.

## آداب الطعام والشراب (\*)

لقد ترك لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) ميراثاً نبويّاً عظيماً من الآداب الشريفة عند تناولنا الطعام والشراب على الرغم من اختلاف أعمارنا وتنوع بيئاتنا ، ولعل من أهمها أن يتحرى كل منا الكسب الحلال، فيطيب طعامه وشرابه مما أحله الله له بعيداً عن الكسب الحرام، امثالاً لأمر الله (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>، فلا يأكل إلا حلالاً ، ولا يطعم أولاده إلا طيباً ، بل على المسلم أن ينأى بنفسه عن مواضع الشبهات .  
وهذه الآداب التي سنّها نبينا (صلى الله عليه وسلم) للطعام في مجملها تحافظ على صحتنا فتعد من باب الوقاية ، وتعيننا على أداء مهمتنا في الحياة ، مما يدلّ على عظمة هذا الدين وشموليته لجميع جوانب الحياة .

---

(\*) أعد هذا المبحث د/ أشرف فهمي موسى ، مدير عام التدريب .

(١) البقرة : ١٧٢ .

فمن هذه الآداب : غسل اليدين قبل الأكل حفاظاً على صحة الإنسان من التلوث ؛ فإن لم نغسل أيدينا كنا عرضة لانتقال الأمراض والأوبئة ، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها): " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنْبٌ ، يَتَوَضَّأُ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ ، أَوْ يَشْرَبَ ، غَسَلَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَكَلَ وَشَرِبَ " (١) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوَضُوءُ قَبْلَهُ ، وَالْوَضُوءُ بَعْدَهُ " (٢) ، والمقصود هنا بالوضوء هو المعنى اللغوي ، ويعني غسل اليدين ، فيستحب غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، حتى وإن كان المرء على وضوء .

— ومنها: البسملة أو التسمية: وهي سنة متبعة في أول الطعام تربط المسلم بالمنعم سبحانه وتعالى فيذكره بالنعمة وبأن هذا الرزق من الله تعالى، وكل شيء يبدأ بالبسملة تحصل له من البركة والخير ما شاء

(١) مسند أحمد ٤٣ / ٣٩٥ ، حديث رقم ٢٦٣٨٣ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأطعمة ، باب غسل اليد عند الطعام ، حديث رقم ٣٧٦١ .

الله له ، وأي عمل لا يبدأ بذكر الله (عز وجل) تَقِلُّ بركته ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ إِذَا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ"<sup>(١)</sup>، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) معلماً الغلام الصغير: " يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"<sup>(٢)</sup>، ومن نسي التسمية أول الأكل جاز له التسمية أثناء الأكل ، فعن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ"<sup>(٣)</sup>.

- ومنها: الدعاء قبل الطعام ، فمن هدي نبينا (صلى الله عليه وسلم) قبل تناول الطعام أن ندعو لأنفسنا ببركة الطعام ، فعن ابن عَبَّاسٍ (رضي الله عنها) أَنَّ نَبِيَنَا (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ،

(١) مسند أحمد، ٣٨ / ٢٨٤، حديث رقم ٢٣٢٤٩.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأَطْعَمَةِ ، بَابُ الْأَكْلِ ، بِالْيَمِينِ ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٣٢٦٧.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأَطْعَمَةِ ، بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٣٧٦٧.

وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزَى مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ<sup>(١)</sup>.

ومنها: الأكل باليد اليمنى ، فكان من هدي نبينا (صلى الله عليه وسلم) التيامن في كل أموره ، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت : " كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُعْجِبُهُ التَّيْمَنُ فِي تَعَلُّهِ وَتَرْجُلِهِ وَطَهْوَرِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ"<sup>(٢)</sup> ، وقد علمه ووصى به نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: " يَا غُلَامُ : سَمَّ اللَّهُ وَكُلَّ يَمِينِكَ ، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ"<sup>(٣)</sup> ، ونهى (صلى الله عليه وسلم) أن يأكل بشماله ما لم يكن له عذر ، فعن ابنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِهَا"<sup>(٤)</sup> ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَذْرُ يَمْنَعُهُ

(١) مسند أحمد، ٤٣٩/٣ ، حديث رقم ١٩٧٨ .

(٢) مسند أحمد، ١٧٤/٤١ ، حديث رقم ٢٤٦٢٧ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل باليمين ، حديث رقم ٣٢٦٧ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا ، حديث رقم ٢٠٢٠ .

من الأكل أو الشرب باليمين فلا حرج من استعمال اليد اليسرى عملاً بقوله تعالى: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" (١).

ومنها: حسن مضغ الطعام والأكل مما يلي الأكل ، فمن هديه (صلى الله عليه وسلم) أَنْ يَأْكَلَ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَلِيهِ فِي الطَّعَامِ مباشرة ، فالأكل من موضع الآخرين سوء أدب ، لما ورد عن عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنهما) قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " يَا غُلَامُ: سَمَّ اللَّهُ ، وَكُلُّ بِيَمِينِكَ وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ" (٢)، وقد ثبتت علمياً فوائد مضغ الطعام ، فهو يسهل عملية البلع والهضم ، كذلك الوقاية من أمراض المعدة والقولون .

- ومن الآداب كذلك: عدم الأكل متكئاً : فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما)، قال : " ما رُئِيَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَأْكُلُ مُتَكِئًا قَطُّ" (٣)، وعن وهب بن عبد الله (رضي الله عنه) عن

---

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئاً، حديث رقم ٣٧٧٠ .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " لا آكلُ مُتَكَنًّا"<sup>(١)</sup>، وذلك لما فيه من الضرر الصحي ، وقد يورث في نفس الإنسان الكبر والتعالي .

- ومنها: عدم ذم الأكل أو تقبيحه: فلم يذم (صلى الله عليه وسلم) طعامًا قط؛ بل يسأل عن الطعام الذي لا يعرفه ، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يأكل طعامًا حتى يسمى له فيعرف ما هو ، ومن ذلك حديث الضب الذي لم يأكله رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أما ما يفعله البعض من عيب الطعام وذمه فليس من هدي نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : " مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَبَّ طَعَامًا قَطُّ، كَانَ إِذَا اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَشْتَهِهِ سَكَتَ"<sup>(٢)</sup>.

- ومنها: عدم العجلة في مد الأيدي إلى الطعام ، فعن حذيفة (رضي الله عنه) قال: " كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل متكنًا ، حديث رقم ٣٧٦٩ .

(٢) مسند أحمد ١٥ / ٢١٣ ، حديث رقم ٩٥٠٧ .

طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)  
فِيَضَعُ يَدَهُ"<sup>(١)</sup>، ويقول الشاعر:  
وإن مُدَّتْ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ  
بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ"<sup>(٢)</sup>

- ومنها: الاعتدال في كمية الطعام والشراب وعدم الإسراف فيه،  
فالأكل الكثير يؤدي إلى التخممة والبطنة ، ويسبب المرض، ويورث  
الكسل والنوم ، وهو شر على الإنسان ، لقوله (صلى الله عليه  
وسلم): "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ  
يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلُتْ لِطَعَامِهِ وَتُلُتْ لِشَرَابِهِ وَتُلُتْ  
لِنَفْسِهِ"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الأَشْرَبِيَّةِ ، بَابُ آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهَا ،  
حديث رقم : ٢٠١٧ .

(٢) سكب الأدب على لامية العرب لسليمان بك بن عبد الله بك الشاوي، ص:  
١٣٤ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الأَطْعَمَةِ ، بَابُ الإِقْتِصَادِ فِي الأَكْلِ ، وَكَرَاهَةِ الشَّبَعِ ،  
حديث رقم : ٣٣٤٩ .

- ومن الآداب كذلك عدم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة؛ لنهيه (صلى الله عليه وسلم) الصريح عن ذلك ، فعن حذيفة (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: " لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَلَا فِي الْفِضَّةِ ، وَلَا تَلْبَسُوا الْحُرَيْرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ " (١)، ولما فيه من التبذير والمخيلة والكبر .

- ومنها: عدم النفخ في الطعام الحار، وترك التنفس في الإناء : فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) "نهى أن يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ" (٢) .

- ومنها: عدم الشرب من فيّ السقاء مباشرة ؛ بل يصب في إناء ثم يشرب ، فربما يكون الماء غير صالح للشرب ، أو آوت إلى القربة - أو ما يشبهها من أواني جمع الماء- هامة من هوام الأرض فتؤدي

---

(١) مسند أحمد، ٣٨ / ٣٨٥ ، حديث رقم ٢٣٣٦٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأشربة ، باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه ، حديث رقم ٣٧٢٨ .

من يشرب من فم القربة مباشرة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: "مَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقَرْبَةِ أَوْ السَّقَاءِ" (١).

- ومنها: غسل اليدين والضم بعد تناول الطعام، فبقاياه في اليدين والضم قد تُشكّل جُودًا لتكاثر الجراثيم ، وتتحول إلى خطر يدهم سلامة الجسم ، فالغسل يحافظ على صحة الإنسان ويقويه من الأمراض، وهذا من هديه (صلى الله عليه وسلم) كما مرّ في أول آداب الأكل ، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : " شَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَبَنًا ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَمَضَّمْهُ ، ثُمَّ قَالَ : "إِنَّ لَهُ دَسَمًا" (٢).

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب الشُّرْبِ مِنْ فَمِ السَّقَاءِ ، حديث رقم ٥٦٢٧ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، التاسع والثلاثون (المطاعم والمشارب وما يجب التنوع عنه منها)، الفصل الرابع: في آداب الأكل والشرب وغسل اليد قبل الطعام وبعده ، حديث رقم ٥٤٣٧ .

- ومنها: الدعاء بعد الفراغ من الطعام والشراب ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) إذا فرغ من طعامه قال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ رَبَّنَا"<sup>(١)</sup>، وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا"<sup>(٢)</sup>.

- ومن الآداب كذلك: تغطية أواني الطعام والشراب ؛ لحمايتها من الذباب والغبار ، ومن الجراثيم ، وقد كان هذا من هديه (صلى الله عليه وسلم) حيث قال فيما رواه سيدنا جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) : " غَطُّوا الْإِنَاءَ ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ ، وَأَعْلِقُوا الْبَابَ ، وَأَطْفِئُوا السَّرَاجَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً ، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا ، وَلَا

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأُطعمة ، باب ما يقول الرجل إذا طَعِمَ ، حديث رقم ٣٨٤٩ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ، التاسع والثلاثون (المطاعم والمشارب وما يجب التنوع عنه منها) ، فصل في ما يقول إذا فرغ من الطعام ، حديث رقم ٥٦٤٦ .

يَكْشِفُ إِنَاءً ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَىٰ إِنَائِهِ عُوْدًا ،  
وَيَذْكَرُ اسْمَ اللَّهِ ، فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ  
بَيْتَهُمْ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الأَشْرَبَةِ ، بَابُ الْأَمْرِ بِتَعْطِيَةِ الْإِنَاءِ وَإِيكَاءِ السَّقَاءِ ،  
وَإِعْلَاقِ الْأَبْوَابِ ، وَذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهَا ، حديث رقم ٢٠٢١ .

## آداب اللباس والزينة (\*)

مما لا شك فيه أن الإسلام دين التجمل والتزين ظاهراً وباطناً، وقد وضع آداباً عامة للباس والزينة ينبغي أن يمثلها المسلم، ولم يفرض قالباً جامداً لنوع معين من الثياب، سواء للرجال والنساء، بل شرع ما تتحقق به الغاية من التستر والزينة والجمال دون كبر أو إسراف أو مخيلة أو تشبه بغير جنس لابسها أيّاً كان مساه.

واللباس هو: ما يستر البدن ويدفع الحرّ والبرد ، يقال: لبس الثوبَ يلبسه لبساً وألبسه إياه ، وألبس عليك ثوبك . وثوبٌ لبيس إذا كثُر لبسه ، وقيل: اللبس بالضم مصدر قولك لبست الثوبَ ألبسه، والزّوج والزّوجة كل منهما لباس للآخر ، وفي التنزيل العزيز: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ﴾<sup>(١)</sup>، ولباس كلّ شيء غشاؤه، ولباس التّقوى الإيـمان والحياء والعمل الصّالح<sup>(٢)</sup>.

(\*) أعد هذا البحث د/ رمضان عفيفي بحيري ، مدير عام المراكز الثقافية .

(١) البقرة: ١٨٧ .

(٢) لسان العرب، ٢٠٢/٦ ، المعجم الوسيط، ٥٤٢/٢ .

فاللباس اسم لما يلبسه الإنسان أي يسترُ به جزءاً من جسده، فالقميص لباس ، والإزار لباس ، والعمامة لباس ، ويقال: لبس التاج ولبس الخاتم<sup>(١)</sup>، والزينة : هي كل ما يتزين به ، ويوم الزينة يوم العيد ، والزين ضد الشين ، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي ، والزينة أعم من اللباس<sup>(٢)</sup> .

#### - عناية الإسلام باللباس والزينة:

لقد جاء الإسلام بتكريم الإنسان ، واحترام آدميته ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٣)</sup>، فأنعم عليه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومن جملتها اللباس ؛ ليستر الإنسان به عورته ، ويتزين ويتجمل بدلاً من قبح العري الذي كان متفشياً قبل الإسلام، وحفاظاً لإنسانيته ، يقول الله تعالى ممتناً على خلقه جميعاً : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ٧٤ / ٨ .

(٢) المعجم الوسيط، ٨٥١ / ١ ، الموسوعة الفقهية الكويتية ، ١٩٣ / ٣٧ .

(٣) الإسراء : ٧٠ .

ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١﴾، يقول الطاهر ابن عاشور : هذا تنبيه إلى أنّ اللباس من أصل الفطرة الإنسانية، والفطرة أول أصول الإسلام ، وكونه ﴿يواري سواكم﴾ صفة مدح اللباس أي من شأنه ذلك ، وإن كان كثير من اللباس ليس لمواراة السوات مثل العمامة والبرد والقباء ، والریش لباس الزينة الزائد على ما يستر العورة ، وهو مستعار من ريش الطير لأنه زينته، ويقال للباس الزينة رياش ، والمعنى ينالكم لباساً يستركم ولباساً تتزينون به (٢) .

ويذكرنا الله تعالى بأن اللباس كما يكون للزينة ولستر العورة ، يكون كذلك للوقاية مما يضر ، يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الأعراف: ٢٦ .

(٢) التحرير والتنوير، ٨ / ٧٥ .

(٣) النحل: ٨١ .

وقد أمر الله تعالى بالتزين خاصة في مواضع اجتماع الناس  
 كالمساجد ، فقال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ  
 وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، فالتجمل  
 والتزين فوق ستر العورة أمر مرغوب فيه ، فعليكم يا بني آدم أن  
 تتجملوا بما يستر عورتكم ، وأن تتحلوا بلباس زينتكم كلما صليتم  
 أو طفتم ، وقد كان السلف الصالح يقفون بين يدي الله في عبادتهم  
 وهم في أكمل زينة ، فهذا الإمام الحسن بن علي (رضي الله عنهما)  
 كان إذا قام إلى الصلاة لبس أحسن ثيابه ؛ ف قيل له : يا ابن بنت  
 رسول الله ، لم تلبس أجمل ثيابك؟ فقال : إن الله جميل يحب الجمال ،  
 فأنا أتجمل لربي ؛ لأنه هو القائل : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ  
 مَسْجِدٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وعن جابر (رضي الله عنه) قال : أتانا رسول الله  
 (صلى الله عليه وسلم) فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره ؛ فقال :  
 "أما وجدَ هذا ما يُسكِّنُ به شعره؟! " ، ورأى رجلاً آخر وعليه

(١) الأعراف: ٣١ .

(٢) التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي، ٦/ ٢٦٤ .

ثياب وسخة ، فقال: " أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ تَوْبَهُ؟! " (١).

### ومن آداب اللباس والزينة:

- أن يكون لبسه من غير بَطَرٍ ولا تَكَبُّرٍ ولا استعلاء على غيره ، إنما هو الاعتدال والتوسط ، فعن ابنِ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ " ، قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبَهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قال: " إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطَرٌ الْحَقُّ وَعَمَطُ النَّاسِ " (٢) ، بل يكون لبسه شكرًا لله على نعمه ، وأن يظهر ذلك على هيئته وملبسه ؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ " (٣).

فخير الأمور أوسطها ، فشأن المسلم في اللباس والزينة المباحة هو

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب في غسل الثوب وفي الخلقان ، حديث رقم ٤٠٦٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانها ، حديث رقم ٩١ .

(٣) سنن الترمذي ، أبواب الأدب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، باب : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ، حديث رقم ٢٨١٩ .

التوسط بلا إسراف ولا تقتير ؛ فالله تعالى يقول في صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَحِيلَةٌ"<sup>(٢)</sup>، فالتحلي بالتواضع في الثياب هو سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فعن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: ذكر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومًا عنده الدنيا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أَلَا تَسْمَعُونَ، أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ الْبِدَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ، إِنَّ الْبِدَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ"<sup>(٣)</sup>، والمرادُ بها ترك المبالغة في الترفُّهِ، كما أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على التجميل والاعتناء بالهيئة عند لقاء الناس والاجتماع بهم، في قوله: "إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَيَّ إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا

(١) الفرقان: ٦٧ .

(٢) مسند أحمد ١١ / ٢٩٤ ، حديث رقم ٦٦٩٥ .

(٣) سنن أبي داود، أول كتاب الترجُّل، حديث رقم ٤١٦١ .

كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ " (١) ،  
فعندما تدخلون على أحد من سفر ونحوه فتزينوا وتجمّلوا حتى  
يعرفكم الناس بذلك كأنكم شامة في الناس .

- ومنها ، أن يكون الثوب ساترًا لعورة الرجل والمرأة، وعورة  
الرجل من السرة إلى الركبة، وعورة المرأة جسدها كله ما عدا الوجه  
والكفين، وأن يكون فضفاضًا واسعًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ  
لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ  
أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢) ، وقوله  
سبحانه : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (٣) .

- ومنها: ألا يكون الثوب رقيقًا شفافًا يشفّ عن العورة ، فعن  
أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، أن أسماء بنت أبي بكر (رضي

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار ، حديث رقم

.٤٠٨٩

(٢) الأحزاب: ٥٩ .

(٣) النور: ٣١ .

الله عنها) دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقال: "يا أسماءُ إِنَّ المرأةَ إِذَا بلغتِ المَحِيضَ لم يَصْلُحْ أَنْ يُرَى منها إِلَّا هَذَا وَهَذَا، وَأشارَ إِلَى وجهِهِ وَكَفَّيهِ" (١).

كذلك أَلَّا يكون الثوب محرماً كالحرير أو الثوب المنسوج بالذهب والفضة للذكور ، فعن أبي موسى (رضي الله عنه) أَنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِلْإِنَاثِ مِنْ أُمَّتِي، وَحُرِّمَ عَلَى ذُكُورِهَا" (٢)، ففي هذا الحديث دليل على جواز استعمال الذهب ، وكذلك الحرير للنساء بسائر وجوه الاستعمال (٣).

- وينبغي أَلَّا يكون ثوب شهرة أو اختيال: لقوله (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ لَيْسَ ثَوْبُ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبًا

(١) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب فيما تبدي المرأة من زينتها ، حديث رقم ٤١٠٤ .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الزينة ، تحريم الذهب على الرجال ، حديث رقم ٥١٤٨ .

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ٦ / ١٣١ ، ٣٧ / ١٩٥ .

مَذَلَّةٌ" (١)، والمقصود أن لا يلبس الشخص ثوباً غير معهود يشتهر به بين الناس لمخالفة لونه أو شكله لما تعارف عليه مجتمعه، فيرفع الناس إليه أبصارهم، فيكون سبباً للمباهاة والافتخار عليهم، وهذا أمر لا يحبه الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢)، وقال: " مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٣).

- ومن آداب اللباس كذلك: ألا يكون في ثياب المرأة تشبه بالرجل ، ولا في ثياب الرجل تشبه بالمرأة ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : "لَعَنَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) الْمُحْتَثِينَ مِنْ الرَّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ" ، وفي رواية : "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب اللباس ، من لبس شهرة من الثياب ، حديث رقم ٣٦٠٦ .

(٢) لقمان: ١٨ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حديث رقم ٣٦٦٥ .

(صلى الله عليه وسلم) الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالمُتَشَبِّهَاتِ  
مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ" (١)، ولعل الحكمة من التحريم ؛ أن المتشبهه  
والمتشبهه كل منهما يخرج نفسه عن الفطرة والطبيعة التي خلقه الله  
تعالى عليها إلى ما تشبه به .

\* \* \*

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب (المتشبهون بالنساء والمتشبهات  
بالرجال) ، حديث رقم ٥٨٨٥ .

## آداب النوم (\*)

يقضي الإنسان مدة طويلة من عمره نائمًا تعادل نحو ثلث حياته تقريبًا ، وذلك راحة لبدنه بعد عناء العمل والسعي من أجل تحصيل أمور المعاش والمعاد، فيتقوى بالنوم لمثلها من السعي، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾<sup>(١)</sup>، فاهتم الإسلام بتلك المدة الطويلة من عمر الإنسان فوضع لها من الآداب الرفيعة التي تجعلها أوقات راحة وطاعة لله (عز وجل)، فإذا استطاع الإنسان أن يكون في نومه ويقظته مقتديًا بهدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أقواله وأفعاله فليفعل، والنوم آية من آيات الله (عز وجل) المعجزة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا

---

(\*) أعد هذا المبحث د/ عمرو محمد الكمّار - مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة .

(١) النبأ : ٩ .

(٢) الروم : ٢٣ .

الموت وَيُرْسَلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾، فالله يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ بِقَبْضِهَا عند انتهاء آجالها، وَالتِّي  
لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا أَي التي لم يحضر أجلها يتوفاها في منامها، فَيُمْسِكُ  
التِّي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ ولا يردها إلى البدن الذي خرجت منه،  
وَيُرْسَلُ الأُخْرَى أَي النائمة إلى وقت موتها. إِنَّ فِي ذَلِكَ المذكور من  
التوفي والإمساك والإرسال لآياتٍ على كمال قدرة الله وحكمته (٢).

وقد وضع الإسلام للنوم آدابًا يستحب للمسلم أن يأتي بها،

منها :

- النوم مبكرًا لما فيه من صحة البدن، والقدرة على الاستيقاظ مبكرًا  
بجد ونشاط، فيبدأ يومه بصلاة الفجر في وقتها ، ثم ينتظم في عمله  
أو دراسته جلدًا نشيطًا ، فالله تعالى جعل النوم للسكن والنهار  
للحركة ، فمن ابتغى خلاف الأصل - إلا لضرورة - فقد خالف  
الفطرة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا \* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا \*

(١) الزمر : ٤٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧ / ٩١ بتصرف .

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا<sup>(١)</sup>، ومن هديه (صلى الله عليه وسلم) أنه :  
" كَانَ يُكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا"<sup>(٢)</sup>، أما من كان له  
حاجة من عمل أو سفر أو خلاف ذلك فله أن يسهر بقدر ما ينجز  
فيه ما أَرَادَهُ مِنْ خَيْرٍ .

- ومنها: إغلاق الأبواب وتغطية أواني الطعام والشراب ، ويلحق  
به إغلاق منافذ الغاز وغير ذلك مما قد يسبب ضررًا إذا ترك ، فعن  
جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَعَلِّقُوا الْأَبْوَابَ،  
وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ ، وَحَمَّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَلَوْ بَعُودٍ يَعْرُضُهُ"<sup>(٣)</sup>،  
وقال (صلى الله عليه وسلم) : " غَطُّوا الْإِنَاءَ ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ ،

---

(١) النبأ : ٩ - ١١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب مَا يُكْرَهُ مِنَ النَّوْمِ قَبْلَ الْعِشَاءِ ،  
حديث رقم : ٥٦٨ .

(٣) صحيح البخاري ، كِتَابُ الْإِسْتِئْذَانِ ، بَابُ إِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ بِاللَّيْلِ ، حديث  
رقم ٦٢٩٦ .

وَأَطْفَأُوا السَّرَاجَ ، وَأَغْلَقُوا الْبَابَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً ، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا ، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ ، إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُدًّا ، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ ، فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ"<sup>(١)</sup>.

- ومنها: تنظيف الفراش قبل النوم ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَصَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ"<sup>(٢)</sup>، ويشمل ذلك مطلق تنظيف مكان النوم ، فيمكن للإنسان أن يفعل ذلك بأي وسيلة أو آلة عصرية تحقق المقصد وتفي بالعرض من منفضة أو مكنسة ونحوهما ، فالعبرة ليست بامسك طرف الثوب ، وإنما بما يتحقق به

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الأشربة ، باب تَحْمِيرِ الْإِنَاءِ ، حديث رقم ٣٤١٠ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، بابُ التَّعَوُّذِ وَالْقِرَاءَةِ عِنْدَ النَّوْمِ ، حديث

رقم ٦٣٢٠ .

نظافة المكان والتأكد من خُلُوِّه مما يمكن أن يسبب الأذى للإنسان .  
- ومنها : أن ينام سليم الصدر والقلب للناس أجمعين ، فلا يحمل فيه حقدًا أو غلاً أو حسدًا على أحد ، فالإنسان في حاجة ملحة إلى أن يطهر قلبه من مثل هذه الأمراض التي تضر به في دينه ودنياه ، وتُفرِّق بين المسلمين وتباعد بينهم ، والله تعالى يُعظم أجور أصحاب الصدر السليم ويرفع درجاتهم ، فسلامة الصدور صفة أهل الجنة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وَعَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : " يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ (ثلاثة أيام متتالية) ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ : إِنِّي لَأَحِيتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي

(١) الحجر : ٤٧ .

إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَبَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ نَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: "يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَطَلَعَتِ أَنْتَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ النَّبِيُّ بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ" (١).

- ومنها: أن يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ويقرأ المعوذتين

(١) مسند أحمد ٢٠/١٢٤، حديث رقم ١٢٦٩٧.

وخواتيم سورة البقرة ، أو ما تيسر من القرآن والذكر، فعن السيدة عائشة (رضي الله عنها): " أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ؛ جَمَعَ كَفَّيْهِ ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا ، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِنَّ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " (١) ، وعن أبي مسعود الأنصاري (رضي الله عنه) قال : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): " الْآيَاتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ " (٢) .

- ومنها: التكبير والتسبيح والتحميد عند النوم ، فقد أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالذكر عند النوم ، وعلمنا أنه يزيد في قوة

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، بَابُ فَضْلِ الْمُعَوِّذَاتِ ، حديث رقم ٥١١٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، بَابُ مَنْ لَمْ يَرِ بِأَسَا أَنْ يَقُولَ: سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، حديث رقم ٥٠٤٠ .

البدن، فعن السيدة فاطمة (رضي الله عنها)، أنها اشتكت ما تلقى  
 مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)  
 أَبِي بَسْبِي، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ  
 النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ (رضي الله عنها)  
 لَهُ ، فَأَتَانَا ، وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنُقُومَ ، فَقَالَ : " عَلَى  
 مَكَانِكُمَا " ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي ، فَقَالَ : " أَلَا  
 أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبَّرَا اللَّهَ  
 أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَإِنَّ  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ " <sup>(١)</sup> ، وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ (رضي الله  
 عنهما)، قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ  
 مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ  
 وَأَحْيَا " ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا

(١) صحيح البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب الدليل على أن الخمس لنواب

رسول الله ، حديث رقم ٣١١٣ .

وَإِلَيْهِ النُّشُورُ<sup>(١)</sup>.

- ومنها: النوم في مكان آمن، وأن يبدأ نومه على الجانب الأيمن فهو الأفضل ، فيحرم النوم في مكان غير آمن ، كسطح بيت غير مأمّن، فربما تقلب في نومه فسقط ، أو استيقظ من نومه فقام قبل أن تكتمل استفاقتة فسقط من ذلك السطح ، يقول رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ ، فَقَدْ بَرَأَتْ مِنْهُ الدَّمَةُ " (٢).

ومن السنن أن يبدأ نومه على الشق الأيمن ، وله أن يغير هيئة نومه - بعد أن يذهب ويغط فيه- على الجانب الأيسر أو على الظهر حسب ما تيسر، لكن يُكره أن يبدأ بالنوم على الجانب الأيسر أو على البطن إلا لضرورة من مرض أو غيره ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، بَابُ وَضْعِ الْيَدِ الْيُمْنَى تَحْتَ الْخَدِّ الْأَيْمَنِ ،

حديث رقم ٦٣١٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كِتَابُ الْأَدَبِ ، بَابُ فِي النَّوْمِ عَلَى سَطْحٍ غَيْرِ مُحَجَّرٍ ، حديث رقم

٥٠٤١ .

عنه) قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى بَطْنِهِ ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ " (١) ، وعن أبي ذرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ : مَرَّ بِالنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي ، فَكَرَّضَنِي بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ : " يَا جُنَيْدُ! إِنَّمَا هَذِهِ ضَجْعَةٌ أَهْلِ النَّارِ " (٢) .

-ومنها: أنه إذا استيقظ في الليل من نومه أو تعارَّ من فراشه فليذكر الله (عز وجل)، فعن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب الأدب ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الْأَضْطِجَاعِ عَلَى الْبَطْنِ ،

حديث رقم ٢٧٨٦ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْأَضْطِجَاعِ عَلَى الْوَجْهِ ،

حديث رقم ٣٧٢٤ .

صَلَاتُهُ<sup>(١)</sup>.

- ومنها: أن يذكر الله (عز وجل) حين يستيقظ من نومه بالأذكار الماثورة أو بشيء من القرآن ، فيصبح نشيطاً طيب النفس هادئ البال ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ : عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَالَانَ"<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، بابُ فَضْلِ مَنْ تَعَارَى مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، حديث رقم ١١٥٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، بابُ عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ ، حديث رقم ١١٥٤ .

## آداب السفر (\*)

السفر هو مفارقة مكان إلى مكان آخر ليدرك الإنسان مطلوباً دنيوياً أو آخروياً ، وسمى السفر سفراً ؛ من الإسفار وهو الخروج والظهور ، فيقال: أسفر الصبح إذا ظهر وبان ، وقيل: سُمى سفراً؛ لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، فيوضح أحوالهم ، مأخوذ من قولهم سَفَرَتِ المرأة عن وجهها إذا كشفته وأظهرته ، فكم من إنسان لا تعرفه ولا تعرف سيرته إلا إذا سافرت معه ، وعندئذ تعرف أخلاقه وسيرته ، " وكان سيدنا عمر (رضي الله عنه) إذا زكَّى رجلٌ رجلاً عنده قال له : هل سافرت معه؟ هل عاملته؟ إن قال: نعم ، قَبِلَ ذلك ، وإن قال: لا ، قال له : لا علم لك به" (١) ، وللسفر آداب ، منها :

---

(\*) أعد هذا البحث د/ عمرو محمد مصطفى ، مدير عام البعثات والوافدين بالمجلس

الأعلى للشئون الإسلامية .

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لمحمد بن القاسم ، أبو بكر الأنباري ،

٢/٢٤٧ ، ولسان العرب ، ٤/ ٣٧٠ .

- إخلاص النية لله تبارك وتعالى: فالنية الصالحة سببٌ لنيل رضا الله تبارك وتعالى، وسببٌ للتوفيق، وتحقيق الأهداف، فالمسلم يجعل من سفره قربة لله تعالى باستحضار النية الصالحة ، قال (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" (١)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ - يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ - إِلَّا بِبَابِهِ رَايَتَانِ: رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ)، اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلِكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسَخِطُ اللَّهُ، اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ" (٢) .

- ومنها: قضاء الديون لأصحابها ، ورد الأمانات لأهلها : فالمسلم الذي عزم على السفر ينبغي أن يؤدي ما عليه من ديون ، فإن لم يقدر فليستأذن المدين في الخروج والسفر ، فإن أذن له خرج ، وإلا قعد ،

(١) صحيح البخاري ، باب بدء الوحي ، كيف كان بدء الوحي ، حديث رقم ١ .

(٢) مسند أحمد ٨ / ٢٦٥ ، حديث رقم ٨٢٩٦ ، والمعجم الأوسط للطبراني ٥ / ٩٩ ،

حديث رقم ٤٧٨٦ .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾<sup>(١)</sup>، وكان هذا من هدي النبي (صلى الله عليه وسلم)، فعندما هاجر إلى المدينة المنورة ترك علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في مكة ليرد الأمانات إلى أهلها، والحكمة من ذلك واضحة وهي حفظ الحقوق ، وعدم جحودها ، فإذا ما قضى المسافر ما عليه من ديون ، أو استأذن صاحبه، ومات من يومه مات نقياً غير متحمل لأثقال العباد .

- ومنها: اختيار رفيق السفر: وذلك أن السائر في فلاة وحده ، والبائت في بيت وحده إذا كان ذا قلب مخيف وفكر رديء لم يؤمن أن يكون ذلك سبباً لفساد عقله ، فعن ابن عمر ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال : "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ"<sup>(٢)</sup> وقال (صلى الله عليه وسلم): " الرَّاَكِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ"<sup>(٣)</sup>، لذا ينبغي أن

(١) النساء: ٥٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير، باب السير وحده، حديث ٢٩٩٨ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده، حديث ٢٦٠٩ ، =

يصاحب المسافر الأخيـار ، ويختار في سفره الأظهار؛ فإذا نسي الخير  
ذكروه ، وإن تذكر شاركوه ، قال (صلى الله عليه وسلم): "المرء  
على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخالل"<sup>(١)</sup>، وصدق القائل:  
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَاسْأَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي  
- ومنها: إعداد الزاد والنفقة التي توصله : فينبغي للمسافر التأهب  
لسفره بحمل الزاد والنفقة ونحوها، وهو لا يمنع التوكل ، فالتوكل  
محله القلب ، والعمل بالأسباب محله الأعضاء والجوارح ، فعن ابن  
عبّاس (رضي الله عنهما) قَالَ : " كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يُحْجُونَ وَلَا  
يَنْزَوْدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ،

---

= قال الخطابي: " معناه -والله أعلم- أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من  
فعل الشيطان، أو هو شيء يحمله عليه الشيطان، ويدعوه إليه فقيل على هذا: إن  
فاعله شيطان، ويقال: إن اسم الشيطان مشتق من الشُّطُون، وهو البعد في  
الأرض وحده مضاهناً للشيطان في فعله، وشبه اسمه، وكذلك الاثنان ليس  
معهما ثالث، فإذا صاروا ثلاثة فهم ركب، أي: جماعة وصحب"، معالم السنن  
للخطابي، ٢ / ٢٦٠ .

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، حديث رقم ٤٨٣٣ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>(١)·(٢)</sup>، "وَتَزَوَّدُوا  
" أي من الطعام ما تكفون به وجوهكم عن النَّاس وطلبهم، وخير  
الزاد التقوى، فلا يدع الإنسان شيئاً يحتمل أن ينفعه في الأمر الذي  
هو مقبل عليه إلا فعله ، ولا يدع أمراً يمكن أن يضره إلا تركه  
واحترز منه ، فالتوكل إنما يكون مع الأخذ بالأسباب ، وترك  
الأسباب بدعوى التوكل لا يكون إلا عن جهل بالشرع أو فساد  
في العقل .

- ومنها: الدعاء عند السفر وعند العودة منه ، ففي الحديث أن  
النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى  
سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: "سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ  
مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ  
وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ

(١) البقرة: ١٩٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ  
التَّقْوَى}، حديث رقم ١٥٢٣ .

عَنَّا بَعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ  
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ  
وَالْأَهْلِ"، وَإِذَا رَجَعَ قَاهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: "أَبْيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ  
لِرَبَّنَا حَامِدُونَ"<sup>(١)</sup>.

- ومن آداب السفر كذلك حسن التعامل مع وسيلة السفر: فمن  
تكريم الله (عز وجل) لبني الإنسان أن خلق أشياء لمنافعه وراحته،  
رأفة ورحمة منه سبحانه وتعالى ، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ  
وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى  
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، فينبغي على الإنسان أن يحسن  
استخدام هذه النعم ، وهو من باب شكر المنعم ، ومن باب  
الإحسان الذي كتبه الله على كل شيء ، فالمسلم يحسن إلى سائر  
الكائنات بمقتضى إيمانه ، فقد رُوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَكِبَ إِلَى سَفَرِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ،

حديث رقم ١٣٤٢ .

(٢) الإسراء: ٧٠ .

وسلم) مَرَّ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم):  
"اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمَعْجَمَةِ ، اِرْكَبُوهَا صَالِحَةً ، وَكُلُّوهَا  
صَالِحَةً"<sup>(١)</sup>، ووسائل المواصلات الحديثة تأخذ نفس الحكم السابق  
من الإحسان بها والمحافظة عليها؛ بل أشد لأن منفعتها عامة لا  
تخص شخصاً بعينه ، فالمحافظة عليها وصيانتها دليل قوي على  
الإيجابية وصدق الإيمان ، وعمق الرابطة بين الإنسان ومجتمعه .

- ومنها: مراعاة مشاعر الضعفاء وأصحاب الأعذار: وقد اعتنى  
ديننا الحنيف بهذه القضية منذ بزوغ فجره، فأوى الضعفاء وخفف  
عنهم ، حتى في العبادة ، فأمر بتخفيف الصلاة رحمة بهم وبأمثالهم،  
وعدم المزاحمة في مناسك الحج وغير ذلك ، رفعا للخرج عنهم،  
فقال تعالى: " لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا  
عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ"<sup>(٢)</sup>، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " إِذَا صَلَّى

---

(١) صحيح ابن خزيمة ، كتاب المناسك ، باب الدليل على أن النبي (صلى الله عليه  
وسلم) إنما أباح الحمل على الدواب الموكوبة ، وأن لا تقصر على طلب حاجة ،  
إذ الله (عز وجل) يراقبه ، حديث رقم ٢٥٤٥ .

(٢) ذكرت في موضعين: الأول (النور: ٦١)، والثاني (الفتح: ١٧) .

أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ ،  
وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ" (١) .

لذا وجب معاملة أصحاب الأعذار معاملة طيبة لا سيما في  
السفر، فإنه مظنة المشقة ، ويكون ذلك عن حب وإخاء حتى يظل  
المجتمع متآزرًا متماسكًا كالبنيان المرصوص ويأخذ القوي بيد  
الضعيف، فإعانة الضعفاء في الحل والترحال صدقة ، قال (صلى الله  
عليه وسلم): " ..وَتَسَعَى بِشِدَّةٍ سَاقِيكَ إِلَى اللِّهْفَانِ الْمُسْتَعِيثِ ،  
وَتَرْفَعُ بِشِدَّةٍ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ  
مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ .." (٢) .

- ومنها: مراعاة آداب الذوق العام : وذلك كترك البصق ورمي  
الفضلات في غير موضعها المخصص له ، وغير ذلك من الأمور

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما

شاء ، حديث رقم ٧٠٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة

بتخفيف الصلاة ، حديث رقم ٤٦٧ .

(٢) مسند أحمد ٥ / ١٦٨ ، حديث رقم ٢١٥٢٢ .

المؤذية للآخرين ، فإسلامنا هو دين الذوق العالي الرفيع ، ومكارم الأخلاق ، والمسلم نافع لنفسه وغيره في حله وترحاله ، قال (صلى الله عليه وسلم) : " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ " (١).

- ومنها: استعمال الرُّخْص في السفر: لما كان السفر من أسباب التخفيف بنفسه - أي سواء كان فيه مشقة أم لم تكن - رَخَّصَ اللهُ سبحانه وتعالى كرامة منه للمسافر بأن يأتي بعض الفرائض على وجه فيه يسر وسهولة ؛ فأجاز له القصر والجمع في الصلاة ، وأباح الفطر في رمضان لمن أراد ، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٢)، وقال : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٣)، والقاعدة : "المشقة تجلب التيسير" ، قَالَ النَّوَوِيُّ : وَرُخَّصَهُ (السفر) تَمَانِيَةً مِنْهَا: مَا يَخْتَصُّ بِالطَّوِيلِ قَطْعًا وَهُوَ الْقَصْرُ وَالْفِطْرُ وَالْمَسْحُ أَكْثَرَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَمِنْهَا : مَا لَا يَخْتَصُّ بِهِ قَطْعًا،

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الأحكام ، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ٢٣٤٠ .

(٢) البقرة : ١٨٥ .

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ، ص : ٧٧ .

وَهُوَ تَرَكَ الْجُمُعَةَ وَأَكَلَ الْمَيْتَةَ ، وَمِنْهَا : مَا فِيهِ خِلَافٌ ، وَالْأَصْحُ  
اخْتِصَاصُهُ بِهِ وَهُوَ الْجُمُعُ ، وَمِنْهَا: مَا فِيهِ خِلَافٌ ، وَالْأَصْحُ عَدَمُ  
اخْتِصَاصِهِ بِهِ، وَهُوَ التَّنْفُلُ عَلَى الدَّابَّةِ وَإِسْقَاطُ الْفَرَضِ بِالتَّيْمُمِ (١) .  
- ومنها: الاتصال على أهله ليخبرهم بقدومه وألا يطرقهم فجأة،  
وذلك امتثالاً لقوله (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه جابر بن عبد  
الله (رضي الله عنهما)، حيث قال : كنا مع رسول الله (صلى الله عليه  
وسلم) في غزاة ، فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل ، فقال : "أَمْهَلُوا  
حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلًا - أَيَّ عِشَاءٍ - كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ ، وَتَسْتَحِدَّ  
الْمُغِيبَةُ" (٢) ، فتستعد الزوجة والأهل والأولاد لاستقبال الغائب بما  
يليق ، ولا يجد المسافر شيئاً يكرهه ، وهذا توجيه نبوي شريف حتى  
تدوم المحبة والمودة بين الزوجين .

\* \* \*

---

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب طلب الولد ، حديث رقم  
٥٢٤٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة الطروق وهو  
الدخول ليلا من ورد من سفر ، حديث رقم ٧١٥ .

## آداب الطريق وحقوقه (\*)

الطريق ملك للناس جميعاً ، ويشترك في حق الانتفاع به الجميع ، ومن ثم فلا يجوز لأحد أن يخص نفسه بنفع يكون سبباً في ضرر الآخرين ، فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، "قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" (١) .

والمراد بآداب الطريق: الأمور التي يجب مراعاتها على كل من يسلك طريقاً، ماشياً كان أم راكباً، واقفاً كان أم جالساً، كغَضِّ البَصْرِ، وَكَفِّ الأَذَى، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَالأَمْرِ بِالمُعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وإمطة الأذى عن الطريق، وهداية الضَّالِّ، وغير ذلك من الآداب التي بيّنتها سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) .

---

(\*) أعد هذا المبحث د/ نوح عبد الحليم العيسوي - رئيس الإدارة المركزية لشئون مكتب الوزير .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الأحكام ، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ، حديث رقم ٢٣٤٠ .

والأصل في ذلك ما ورد في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ"، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا"، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَدَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ"<sup>(١)</sup>.

فقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلَّى بها من جلس في الطريق أو مرَّ به ، والتي منها:

- غَضُّ الْبَصَرِ: وقد جاء الأمر به عامًّا في الرجال والنساء على السواء، فكما يجب على المسلم أن يَغْضُ بصره ، يجب على المسلمة أيضًا إذا خرجت من بيتها أن تغض بصرها ، وذلك لخطر النظر من

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المظالم والغصب ، بَابُ أَفْنِيَّةِ الدُّورِ وَالْجُلُوسِ فِيهَا، وَالْجُلُوسِ عَلَى الصُّعَدَاتِ ، حديث رقم ٢٤٦٥ .

كلا الطرفين للآخر ، ويؤكد هذا ما جاء في حديث حُذَيْفَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللهِ أَثَابَهُ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ " (١) .

والمراد بغض البصر: خفض البصر عن كل ما يُكْرَهُ النَّظْرُ إِلَيْهِ، حتى يسلم المرء من التعرض للفتنة أيًا كانت ، ولم يغفل الإسلام ما قد يقع من الناس بدون قصد منهم، حيث راعى في الإنسان الخطأ غير المقصود؛ لذا أمر من نظر إلى امرأة أجنبية أن يصرف بصره عنها ولا يتهادى ، فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنه) قَالَ: " سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي " (٢) ، وعلى ذلك فلو غض الإنسان بصره لاطمأنت نفسه ، وهدأ قلبه ، وسكن فؤاده .

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ، کتاب الرقاق ، حدیث رقم ٧٨٧٥ .

(٢) صحیح مسلم ، کتاب الأدب ، باب نَظَرِ الْفُجَاءَةِ ، حدیث رقم ٢١٥٩ .

- ومنها: كف الأذى عن الطريق ، وهو أدب من الآداب التي حثَّ عليها الإسلام ، وبيَّن فضلها وأجرها ، وجعلها من شعب الإيمان ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"<sup>(١)</sup> ، فقد بيَّن الحديث أن إمطة الأذى عن الطريق من الإيمان ، والمراد بالأذى: كل ما يؤذي من حجر، أو شوك، أو قمامة، أو حُفْرٍ مؤذية وقد تكون مهلكة إذا وقع فيها من لا يبصرها ، أو غير ذلك .

والمراد بكف الأذى عن الطريق: إزالته وإبعاده عن طريق الناس، وعدم التعرض لهم بأي لون من ألوان الاعتداء والضرر؛ لأن ذلك إفساد في الأرض ، والله تعالى يقول : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾<sup>(٢)</sup> ، وقد حثَّ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، بَابُ شُعْبِ الْإِيمَانِ ، حديث رقم ٣٥ .

(٢) الأعراف: ٥٦ .

عَلَى كَفِّ الْأَذَى وَإِزَالَتِهِ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَعَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ<sup>(١)</sup>، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، كَأَنَّهُ تُؤَذِي النَّاسَ"<sup>(٢)</sup>، فهذه الأحاديث وغيرها تؤكد فضل إزالة الأذى عن طريق الناس لما فيه من إدخال التيسير عليهم في معاشهم وعباداتهم ، كما تؤكد بمفهومها حرمة إيذاء الناس في طرقهم ، وهو ما جاء صراحة في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ"<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) سنن الترمذي، أبواب البرِّ وَالصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، باب ما جاء في إمطة الأذى عن الطريق ، حديث رقم ١٩٥٨ .
- (٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ، حديث رقم ١٩١٤ .
- (٣) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ١٧٩ ، حديث رقم ٣٠٥٠ .

- ومن حقوق الطريق كذلك : ردُّ السلام ، وهو يغرس المحبة  
ويزرع الألفة فيما بين الناس ، وينال به الإنسان رضا الله تعالى  
وغفرانه ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى  
تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ  
بَيْنَكُمْ" (١).

ومن أدب السلام : أن يسلم الصغير على الكبير، والماشي على  
القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير ، فعن أبي هريرة  
(رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):  
"يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَلِيلُ عَلَى  
الكَثِيرِ" (٢).

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، بابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ ،  
حديث رقم ٥٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتابُ الإِسْتِثْنَانِ ، بابُ تَسْلِيمِ الْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ ، حديث  
رقم ٦٢٣٤ .

- ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو مما فَضَّلَتْ به أمة النبي (صلى الله عليه وسلم) على سائر الأمم ، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، والمعروف : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله ، والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس، وفعل كل ما ندب إليه الشرع من المحسنات ، وترك كل ما نهى عنه المقبحات ، والمنكر: ضد المعروف ، فهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو حصن الأمة من الوقوع في المهلكات ، فعن حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ"<sup>(٢)</sup>، وحكمه : فرض كفاية ، إذا قام به

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الفتن ، بابُ مَا جَاءَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، حديث رقم ٢١٦٩ .

بعض الناس سقط الحرج عن الباقيين ، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه وتركه بلا عذر.

وقد جاءت أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقيدة بالاستطاعة ، فعن طارق بن شهاب قال: **أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ**. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ: **الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ** ، فَقَالَ : **قَدْ تَرِكَ مَا هُنَالِكَ** ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : **أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"**<sup>(١)</sup> ، والتغيير باليد لولي الأمر ، والتغيير باللسان لمن كان له علم وحلم ، فمن عجز عن ذلك فليصرف وليدع الطريق ، وذلك أضعف الإيمان .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، حديث رقم ٤٩ .

ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بد أن تتوافر فيه عدة أمور ، منها : أن يكون عالماً بالشيء الذي يأمر به ، وينهى عنه ، وأن يتحلى بالحلم ؛ حتى لا يثور ويغضب فيفسد أكثر مما يصلح .  
- ومن آداب الطريق كذلك : هداية السائل وإرشاد ابن السبيل ، فهو من حقوق الطريق وآدابه ، وقد حثَّ الإسلام على هذا الأدب لما فيه من الخير ، وجعل ذلك من الصدقات ، مما يدل على فضله ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ.. " (١) .

- ومنها : إعانة المظلوم على من ظلمه بالقول أو الفعل حيث أمكن ، فنصرة المظلوم مما حثَّ عليه الإسلام ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا " فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ؛ أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في صنائع المعروف ، حديث

ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصَرُهُ؟! قَالَ : " تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ  
فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ" (١) .

- ومنها : إعانة الضعيف في حمله على دابته ، أو رفع متاعه عليها ،  
وما يقوم مقامها في هذه الأيام من إعانة كبار السن في ركوب  
وسائل المواصلات ، أو مساعدة الناس في رفع أغراضهم على  
السيارات ونحوها ، حيث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) :  
"كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ ، يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ ، يُحَامِلُهُ  
عَلَيْهَا ، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَكُلُّ خَطْوَةٍ  
يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (٢) .

- ومن أهم وأكاد آداب الطريق في هذه الأزمان : الالتزام التام

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المظالم والغصب ، بابُ أَعْنُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ،  
حديث رقم ٢٤٤٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، بابُ فَضْلِ مَنْ حَمَلَ مَتَاعَ صَاحِبِهِ فِي  
السَّفَرِ ، حديث رقم ٢٨٩١ .

بأنظمة المرور وقواعد السير المتعارف عليها في الدولة ، وهو مطلب شرعي يحث عليه ديننا الحنيف ؛ لأن الغاية منه المحافظة على أرواح الناس وممتلكاتهم ، وتحقيق الأمن والسلامة للناس أجمعين ، فإهمال قواعد المرور وآداب السير يؤدي في كثير من الأحيان إلى الوقوع في الهاوية بقتل النفس المعصومة ، وهذا من كبائر الذنوب ، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا \* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا \* إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وختاما نؤكد أن الالتزام بنظام السير وقواعده يعدُّ من طاعة ولي الأمر التي أمرنا الله تعالى بها ، فقد أمر سبحانه بطاعته وطاعة

---

(١) الفرقان : ٦٨ - ٧٠ .

(٢) النساء : ٢٩ .

رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ثم طاعة أولي الأمر، فقال سبحانه:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ  
مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) النساء: ٥٩.

## آداب طالب العلم (\*)

لا شك أن أهل العلم هم خلاصة الوجود ، وهم أمانة الله على خلقه ، وهم الذين يحفظ الله بهم هذه الأمة من الزبغ والضلال ، فما من خير في هذا الوجود إلا وأصله ومنبته من العلم ، وما من شر في هذا الوجود إلا وأصله ومنبته من الجهل ، ويكفينا هذا الكلام الرائع على لسان الإمام عليّ (رضي الله عنه) (١):

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لَمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ  
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ  
فَفَزَّ بِعِلْمٍ تَعَشَّ حَيًّا بِهِ أَبَدًا فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ  
ومن هنا فلا بد من الترسخ لمفهوم وقيمة العالم والأستاذ والشيخ ، وأنه يعد بمثابة مؤسسة اجتماعية تربوية توعوية تعليمية؛ حيث يقوم بتنشئة الأجيال في مراحل التعليم المختلفة إلى مرحلة النضج العقلي، من حيث غرس القيم والأخلاق والآداب التي

(\*) أعد هذا البحث د/ أسامة فخري الجندي ، مدير عام المساجد .

(١) حسن التنبيه لما ورد في التشبيه لنجم الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ) ، ٣ / ٥٩٠ .

ينبغي أن تتوافر في الدارسين ، ونشر النور والمعرفة بينهم، كما أنه يقوم على تقديم الحقائق والمعارف الصحيحة البعيدة عن الأخطاء والأكاذيب ؛ ليتحقق من خلاله تربيةً مستقيمةً وعقولٌ قويمَةٌ لأجيال المستقبل، فيكونون بهذا العالمِ والأستاذِ سواعدَ حقيقية لبناء مجتمعاتهم وأوطانهم .

فمن خلال المعلمين تتشكلُ عقليةُ النشءِ ويتكون لديهم الوعيُ والإدراكُ والفهمُ ، وفق ما ينشرونه من عاداتٍ وتقاليدٍ وقيمٍ وآدابٍ ومعارفٍ وثقافةٍ في شتى العلوم والفنون، فهم الأصلُ الأصيلُ في البناء الفكري للأجيال ، وكذلك في البناء والتقدم للأمة في شتى المجالات (اقتصاديًا- وتربويًا - واجتماعيًا - وعلميًا ... وهكذا) ، ومن هنا فلا بد من قيمٍ وآدابٍ يسلكُها الدارسُ والمتلقي والمتعلمُ في رحابِ معلِّميه وأساتذته ، ومن جملة هذه الآداب :

- توقير العلم وأهله واستحضارُ الهيبةِ والاحترامِ بحُسنِ التناولِ واستعمالِ ما يُجْمَدُ قولًا وفعالًا ، فقد كان السادةُ العلماءُ الأعلامُ يوجهون الطلابَ بأن يتعلموا الأدب قبل العلم ، فلا ينفع جمعُ

العلوم والمعارف بغير أدب ، وقد جاء عن عمر (رضي الله عنه) قوله : "تَأَدَّبُوا ، ثُمَّ تَعَلَّمُوا"<sup>(١)</sup>، وقال ابن المبارك : "لَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ بِنَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُزَيِّنْ عَمَلَهُ بِالْأَدَبِ" :<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً : "نَحْنُ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْأَدَبِ أَخْرَجْنَا مِنْهَا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ"<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ بَعْضُهُمْ<sup>(٤)</sup> :  
 قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ الْكِبَرَةِ الْأَدَبُ  
 إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ يَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهُ الْحُشْبُ  
 فينبغي إذن الاعتناء بهذا الجانب أشدَّ العناية ، فنقوم على تربية الأبناء بالأدب قبل تربيتهم بالمعرفة ؛ لإخراج جيلٍ يعرف قيمة العلم والعلماء قبل أن يعرف المعرفة .

فبالتوقير والاحترام ينتفع المتعلمُ بمعلمه ، ويطرسخ في ذهنه كلُّ ما ينهله منه ، فعن عبادة بن الصَّامِتِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب لشمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد

ابن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨ هـ) ، ٦/١ .

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ، ٥٥٢ / ٣ .

(٣) المصدر السابق ، ٥٥٢ / ٣ .

(٤) المصدر السابق ، ٥٥٢ / ٣ .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا"<sup>(١)</sup>، أي حقه ، ويقول طاوس بن كيسان (رحمه الله تعالى) : "مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوقَّرَ أَرْبَعَةٌ : الْعَالِمُ ، وَذُو الشَّيْبَةِ ، وَالسُّلْطَانُ ، وَالْوَالِدُ"<sup>(٢)</sup>.

ولننظر إلى هذه الترجمات التطبيقية لهذا الأدب - الاحترام والتوقير - بين طلبة العلم ومعلميهم ، فانظر إلى أدب سيدنا موسى (عليه السلام) من تواضع جمّ وتوقير لمعلمه سيدنا الخضر (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ الرَّبِيعُ متأدبًا مع معلّمه الشافعيّ (رحمه الله) : "وَاللّٰهُ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيِّبَةً لَهُ"<sup>(٤)</sup>.

(١) مسند أحمد، ٣٧ / ٤١٦، حديث رقم ٢٢٧٥٥ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ، الخامس والخمسون من شعب الإيمان ، بر الوالدين، حديث رقم ٧٥٠٩ .

(٣) الكهف ٦٦ : ٧٠ .

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ، ١ / ٢٢٦ .

ومن الاحترام أيضًا : أن يتغاضى طالبُ العلم عن عيوب معلّمه ونواقصه ، فهذا أحد طلاب العلم كان إذا ذهب إلى شيخه تصدّق بشيء ، وقال : " اللهم اسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي وَلَا تُدْهِبْ بَرَكَاتَ عِلْمِهِ مِنِّي " (١) .

فالمعلّم بمثابة الوالد الذي يقدّم فنونه ومعارفه وتجاربه وخبراته وخلاصة فكره إلى أبنائه (تلاميذه) ، فكما أن هناك أدبًا مع الوالد لا بد منه ، فلا بد أيضًا من هذا الأدب مع المعلّم ، ومن هنا نظّم بعض الفضلاء (٢) :

آبَاءُ أَجْسَادِنَا هُمْ سَبَبٌ لَأَنَّ جُعِلْنَا عَرَائِضَ التَّكْلِيفِ  
مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ كَانَ خَيْرَ أَبِي ذَاكَ أَبُو الرُّوحِ لَا أَبُو النُّطْفِ  
ومن الاحترام مع المعلّم ألا يُفحّمه بالأسئلة التي تخرُج عن نطاق

---

(١) مختصر الإفادات في رُبْع العبادات والآداب لمحمد بن بدر الدين بن بلبان  
الدمشقي الحنبلي (ت ١٠٨٣هـ)، ص ٣٣٠ .

(٢) الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية لأحمد بن يوسف بن محمد الأهدل،  
ص ١٦٢ .

ما يقوم بمدارسه، فتكون أسئلته محصورةً فقط في الفن أو العلم الذي يريد أن يفهمه على معلمه ، ولا يُشَتَّتُ فهم المعلم أو ذهنه بمجموعة من الأسئلة المفترضة أو الأسئلة البعيدة .

فلا بد من مراعاة حقوق المعلمين ، وألا يُنجَرَّ عليهم برفع الصوت في وجوههم ، أو تناولهم بالقبيح من القول أو الفعل أو الإشارات أو الإيحاءات البعيدة عن معنى الأدب ، أو إيذائهم بكلمات وعبارات لا تصح ، وكذلك الحذر من القدح فيهم ، فهذا كله ليس من الأدب مع أهل العلم .

- ومن آداب طالب العلم كذلك: الصبر وعدم الضجر وعدم العجلة ، فإذا كان العلم هو السبيل الرئيس للابتكار والإبداع والاختراع ، وطريقاً للتقدم والنمو في شتى المجالات الحياتية ، فلا بد إذن على طالب العلم أن يصبر في طلبه للعلم ، وألا يضجر من معلمه ، وألا يستعجل معه سرعة الفهم والتحصيل ، فيواصل الطلب بحسن فهم واستيعاب ، وعدم يأس وصبر ، وإن كان في ذلك مشقة ، كما أنه يجب عليه ألا يقف عند حد من تلقي العلوم

والمعارف مهها أمكنه التزوّد ؛ ولهذا يقول الشاعر<sup>(١)</sup> :

اطْلُبْ وَلَا تَضْجِرَنَّ مِنْ مَطْلَبٍ فَافَّةُ الطَّالِبِ أَنْ يَضْجِرَا  
أَمَّا تَرَى الحُبْلَ بِتَكَرَّارِهِ فِي الصَّخْرَةِ الصَّيَّاءِ قَدْ أَثْرَا

- ثم إنه بلا شك أن تلقى العلوم مع الصبر والجلد والمحاولة في الفهم والاستيعاب ، يكون أثبت في الذهن ، فالعلم إذن إنما يؤخذ بالصبر والجلد والطمأنينة وعدم اليأس، ومحاولة الفهم من المعلم قدر المستطاع ؛ حتى يصل المتعلم إلى حدّ الإنقان .

- ومنها: السعي في طلب العلم ولو بالرحلة إلى الآفاق وبذل الجهد - إن تطلب الأمر - لمجالسة العلماء والتحمل عنهم، فعن قيس بن كثير، قال: " قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَهُوَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ : حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ مُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله

الأرمي العلوي المرري الشافعي، ٩ / ٤٤٧ .

الحديث؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ"<sup>(١)</sup>.

- ومن جملة الآداب التي لا بد منها في طلب العلم: "التواضع"، وهي سمة بارزة لاستمرار تلقي العلوم ومحبة أهل العلم، فالتواضع في طريق العلم لا يحتقر النصيحة، ولا يستعلي على التقويم، ولا يرفض التوجيه، وقد نبّه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك، ودعا إليه حين قال: "تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ، وَالْوَقَارَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ"<sup>(٢)</sup>، وعن

(١) سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٨٢.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني، ٦ / ٢٠٠، حديث رقم ٦١٨٤.

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: " يَا طَالِبَ الْعِلْمِ ، إِنَّ الْعِلْمَ ذُو فَضَائِلَ كَثِيرَةٍ : فَرَأْسُهُ التَّوَاضُّعُ .... " (١).

ومما لا شك فيه أنه كلما ازداد الإنسان علماً ؛ كلما تبين له جهله بما لم يكن يعلم ، وكذلك تبين له أن العلم بحرٌ واسعٌ عميقٌ ؛ وبناءً على هذه القاعدة ، فإن طالب العلم لا يغترُّ بعلمه وتحصيله مهما بلغَ ، وكلما شعر طالب العلم أن علمه قليلٌ ، فإنه يسعى في طلب العلم وتحصيله ، ومعنى هذا أن الإنسان دائماً بحاجة إلى طلب العلم والمزيد منه ؛ ولهذا كان نبيُّنا (صلى الله عليه وسلّم) يدعو ربّه كما أمره فيقول: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٢).

وهذا سيدنا ابنُ عباس (رضي الله عنهما) كان في طلبه العلم ربما جلس أمام بابِ صاحب العلم في اليوم الشديد في وقت الظهيرة ، تُثير عليه الرِّيحُ الترابَ ، فما كان يطرقُ عليه البابَ ، يقول ابنُ عباسٍ: " لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(١) الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية ، ص ٢٩ .

(٢) طه: ١١٤ .

قُلْتُ لِرَجُلٍ: هَلُمَّ فَلْتَتَعَلَّمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نَسَأَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ، فَقَالَ: الْعَجَبُ وَاللَّهِ لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مَنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ فَتَرَكْتُ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ وَتَتَبِعُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَإِنْ كُنْتُ لِأَنِّي الرَّجُلَ فِي الْحَدِيثِ يَبْلُغُنِي أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَأَجِدُهُ قَائِلًا ، فَأَتَوَسَّدُ رِذَائِي عَلَى بَابِ دَارِهِ تَسْفِي الرِّيَّاحُ عَلَى وَجْهِي ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيَّ ، فَإِذَا رَأَى قَالَ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ ، فَيَقُولُ: هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَأَتِيكَ ، فَأَقُولُ: أَنَا كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَرَانِي قَدْ ذَهَبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَقَدْ احتاج الناس إلي فيقول: أنت كنت أحق مني<sup>(١)</sup>.

ومن باب التواضع مع المعلمين: ألا يخاطب المتعلم معلّمه بتاء

(١) المعجم الكبير للطبراني، ١٠ / ٢٤٤، حديث رقم ١٠٥٩٢ .

المخاطب ، بل زيادةً في الإكرام والرّفعة له ، أن يخاطبه بصيغ الجمع ، فيقول له مثلاً : ما رأيكم؟ ، قلتُم ، ذكرتم رحمكم الله ، وكذلك عند ذكره في غيابه أن يقدّم بين ذكر اسمه ما يشعر بتعظيمه والتواضع له كأن يقول : قال شيخنا ، أستاذنا ، معلّمنا .. وهكذا .

- ومنها : الرجوع إلى العلماء في زمن الفتن والنوازل ، وهذا أدبٌ عزيزٌ ، لا بد منه خاصّة في زمن الفتن والنوازل ، فإن الله (عز وجل) يقول : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، فالعلم ليس بكثرة الحفظ أو الجمع ، وإنما العلم بالفقه والفهم .

وفي هذا دليلٌ رصينٌ لقاعدةٍ من أجلّ قواعد الأدب في طلب العلم ، فإذا كان هناك بحثٌ في أمرٍ من الأمور ، فينبغي أن يُطلبَ فهمٌ ذلك من أهله ، وأن يُطلبَ من صاحبِ الرؤية الجامعة ، وليس الرؤية القاصرة أو المذهبية ؛ ذلك لأن أهلَ العلم المتخصصين هم

---

(١) النساء : ٨٣ .

الأقربُ إلى الصواب ، وإلى السلامة من الخطأ .  
والناظرُ المدقُّقُ سيجد أن المعلمَ هو من يقوم بالتعبئة الفكرية  
والثقافية ، وهو من يقوم بمعالجة البناءِ الفكري للأمة، من حيث  
محاصرة الفكر المنغلق أو المتشدد ، وتحصين الأجيال من الفكر  
المتطرف أو المنحرف ، وحفظ العقول من الشبهات والقلوب من  
الشهوات ، وبيان الفهم الأصيل والرئيس لغايات العلوم والمعارف  
مع مراعاة فقه النوازل.

ومن ثم فعلى المتعلم أن يردَّ كلَّ ما يقفُ فيه من مسائل وقضايا  
ومعارف إلى المعلمِ الناصحِ الأمينِ الفقيهِ ، وإلا سيجد نفسه أمام  
حالة من الفوضى الفكرية إذا أعطى الأمرَ لغير أهله أو لمن يوظفُ  
معلوماته ومعارفه لهوى أو انتهاز أو طائفة .

\* \* \*

## فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
*	تقديم . أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك ، وزير الأوقاف .	٥
١ .	الأدب مع الله تعالى . د/ محمد السيد نصار ، مدير عام الإرشاد ونشر الدعوة .	٨
٢ .	الأدب مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك ، وزير الأوقاف .	١٩
٣ .	الأدب مع الصحابة (رضوان الله عليهم) . د/ أحمد عبد الهادي علي ، مدير إدارة المراكز الثقافية .	٣٢
٤ .	آداب معاملة الوالدين . د/ عمرو محمد الكتّار ، مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة .	٤١

الصفحة	الموضوع	م
٥٤	آداب الطعام والشراب . د/ أشرف فهمي موسى ، مدير عام التدريب .	.٥
٦٥	آداب اللباس والزينة . د/ رمضان عفيفي بحيري ، مدير عام المراكز الثقافية .	.٦
٧٥	آداب النوم . د/ عمرو محمد الكمار ، مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة .	.٧
٨٦	آداب السفر . د/ عمرو محمد مصطفى ، مدير عام البعثات والوافدين بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .	.٨
٩٦	آداب الطريق وحقوقه . د/ نوح عبد الحلیم العيسوي ، رئيس الإدارة المركزية لشئون مكتب الوزير بالديوان العام .	.٩

الصفحة	الموضوع	م
١٠٨	آداب طالب العلم . د/ أسامة فخري الجندي ، مدير عام المساجد .	١٠
١٢٠	فهرس الموضوعات .	*

\* \* \*





الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي: